استطلاعُ الدِّراسَات السَّابقـــة

من الحيرة إلى نيل المأمـول

أ.د. عقيل حسين عقيل

2022م

استطلاعُ الدِّراسَات السَّابقة

(مِنَ حيرةِ الباحثِ إلى نيلِ المأمولِ)

أ د. عقيل حسين عقيل

2022م

المحتويات

المقدّمةُ 4

الحيرةُ العلميَّة 6

حيرةُ الباحث تُمكِّن مِن تحديد المشكلة 10

الأهدافُ تُنجَزُ 22

إنجاز الأهداف يُمكِّن مِن التعرّفِ على المتوقَّعِ 29

الأهدافُ تدبُّرًا 38

الأهدافُ تَصنع المستقبل 41

تحديد الأغراض 49

الغرض ارتقاءً يحفّز الأهداف إلى بلوغ الغايات 57

بلوغ الغايات 62

نيل المأمول 70

الأملُ والمأمول في دائرة الممكن 77

المأمول وليد الأمل 104

نيلُ المأمولُ يُمكّن مِن الرّفعة وبلوغ القمّة 117

استطلاعُ الدِّراسات السَّابقة 122

مفهومُ الاستطلاع 122

مفهومُ الدِّراسَات 127
مفهومُ الدِّراسات السَّابقة 133
معطياتُ استدعاء الدِّراسَات السَّابقة 135
معطية التذكّر 136
معطية التدبُّر 140
معطية التفكُّر 145
أهميَّة استطلاع الدِّراسات السَّابقة 152
شروط استطلاع الدِّراسات السَّابقة 154
كيفيَّة استطلاع الدِّراسات السَّابقة 156
صدر للمؤلّف 195
المؤلّفات 197
المؤلّف في سطور 218

المقدّمةُ

استطلاع الدِّراسَات السَّابقة ليس بالأمر الهيّن، فاستطلاعها يتطلّب جهدًا واعيًا بما يجب تجاه تلك الدِّراسات التي سَبق وأن أُجريت على مواضيع أو مشاكل بحثيَّة، أو دراسة حالات سواء أكانت في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة وعلم الاجتماع، أم في علم النَّفس وعلم النَّفس اجتماعي، وسواء أكانت فرديَّة أم جماعيَّة أم مجتمعيَّة.

ونظرًا لأهميّة الدِّراسَات السَّابقة في امداد البُحَّاث المتوالين عليها بهدف معرفة ما وصلت إليه من علوم، فإنَّ الجادِّين منهم وبغاية إحداث النُّقلة إلى ما يجب أن يَكونَ أكثر فائدة، فإنَّهم بلا شكَّ سيكونون أكثر وعيًا بعد الرُّجوع إليها وأخذ الاستراحة في ميادينها، وبين ثنيا صفحاتها وما تحمله من مضامين بين الأسطر.

ونظرًا لأهميَّة هذه المهمَّة التي يَنبغي أن يكون البُحَّاث على بيّنةٍ ومقرّبة منها؛ جاء مؤلَّفنا ليقدِّم هذا الجهد لمن هم في حاجة لمعرفة أهميَّة الدِّراسات السَّابقة، وكيفيَّة استطلاعها، وكيّفيَّة الوقوف على ما تحتويه من كنوز علميّة ومعارف تاريخيَّة، وأخلاقيَّة، وسياسيّة، واقتصاديَّة، وما تحتويه مِن كلِّ العلوم الطّبيعيَّة واللغويَّة والفنيَّة والأدبيَّة.

ولأنَّ موضوع مؤلَّفنا: استطلاع الدِّراسَات السَّابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول) فقد اهتمّ المؤلَّف بإبراز الحيرة وأهميّتها بالنِّسبة إلى الحائرين مِن البُحَّاث، مع إظهار أهميَّة الدِّراسات السَّابقة في إنقاذ البُحَّاث

الجدد؛ وذلك بما يمكِّنهم من الخروج مِن محيِّراتهم والتجاوز عمَّا يؤدّي بهم إلى الوقوع في عمليّة التكرار الذي يوقع بهم في مواقع التأزُّمات؛ ومن هنا فإنَّ استطلاع الدِّراسات السَّابقة يفتح أمام البُحَّاث آفاق المستقبل المأمول نهضة، ويمكِّنهم مِن البحث العلمي نُقلة من بعد نُقلة.

ومن ثمَّ فلا مأمول أمام البُحَّاث الحائرين ما لم يتمكَّنوا معرفة من الخروج من المحيّرات، التي من بعدها تصبح مجالات البحث العلمي واسعة ومتعدّدة ونافعة.

ولأنَّ الدِّراسات السَّابقة ثروة علميَّة بجهود الجادِّين، فإنَّها تعدّ من أهم منابع المعلومات ومصادرها، ولهذا فبها تتأصل العلوم حُجّة من بعد حُجَّة، وتتطوَّر بحثًا من بعد بحث.

أ د. عقيل حسين عقيل

2022م

الحيرةُ العلميَّة:

الحيرة العلميَّة حيرة مستفزّة للباحث بإشكاليَّة البحث العلمي، وهي ليست حيرة عامَّة بأيّة علّة، وهي الحيرة الباحثة عن شيءٍ مفقود مع أنَّه يدور في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

ومع أنَّها المحيّرة لأمر الباحث والمقلقة له، فإنَّه لا إمكانيَّة أنْ يبلغ المأمول الذي يرجوه إلَّا بعد عبورها رؤية ودراية.

ولهذا تُعدّ الحيرة انشغال ذهني بحلقة مفقودة متى ما تمّ التعرُّف عليها فكريًّا، تجلّت الرّؤية بين ما يشاهد ويلاحظ، وتلك العلاقة المجهولة.

والسُّؤال كيف؟ دائمًا هو السُّؤال المحيّر، والإجابة عنه تُعدّ مرتكزًا فكريًّا، والمعرفة تكسر حاجز الحيرة كما تكسر الجمود الفكري ساعة الإجابة عن التساؤل: كيف؟ وأوَّل محيّرٍ للفكر الإنساني كيف خُلق الكون؟

من الذي خلقه؟

أين الخالق؟

ما هي قوانين الخَلق؟

ما هي صفات الخالق؟

إنَّ التساؤل عن الكيفيَّة التي خُلق الكون عليها تقود إلى معرفة خالقه، ومعرفة الخالق لا يمكن أن تتأتى إلّا بمعرفة صفاته؛ فالذين قالوا:

إنَّ الكون خَالق نفسه، فقولهم يُقبل لو عدّدوا لنا صفات الكون الخالق نفسه، ولكن إن لم يجدوها (لم يجدوا له صفة)؛ فكيف لهم بالبقاء على ما يقولون؟

فالكون لا يمكن أن يكون كونًا، لو لم تسبقه صفة بقائه وجودًا، ومن يجيز غير ذلك وكأنّه يودّ أن يقول: متى ما وجد المخلوق وجد الخالق، ولكنّهم إذا أجازوا ذلك عن وعي لأدركوا أنّهم قد فصلوا المخلوق عن الخالق، ومن هنا لن يصبح الكون إلّا على حالة واحدة: إمّا خالق، وإمّا مخلوقٍ، وفي كلتا الحالتين: فإن كان خالقًا؛ فهو المسيِّر، وإن كان مخلوقًا؛ فهو المسيَّر، ولأنّ المخالفين هم من علماء الفيزياء؛ فهم متى ما فكّروا في صفات خالق نفسه عرفوا أنّه على غير صفة، وفي المقابل إن قالوا: له من الصّفات ما له؛ فعليهم بعدّها؛ فإن عدّوها، أحصوها، وإن أحصوها فلا يمكن أن تكون صفات خالق؛ ذلك لأنّ صفات الخالق لا تعدّ ولا تحصى، وإلّا هل هناك من يعدّ نعمه؟

هكذا هي الحيرة ترتبط بالشيء من محطّة فكريَّة إلى محطّة أخرى؛ فهي قد ألمت أوَّل ما ألمت بالإنسان الأوَّل (آدم) عندما وجد نفسه في حيرةٍ بين خيارات ثلاثة: أمر الله ونهيه، وإغواء إبليس، وما اشتهته نفسه؛ فظل على حيرته حتى عصى ربّه، وهنا، وُلدت من بعد الحيرة حيرة لم تلد حلّا؛ فألمت به ثانية عندما اكتشف أنّه أصبح في دونيَّة مخالفة لطبيعة

خَلقه في أحسن تقويم؛ فظلّ في حيرته حتى استجاب الله لاستغفاره وتاب الله عليه.

وهكذا هي الحيرة من بعده ظلّت تلاحق بنيه؛ فألمت بأحدهم ساعة قتله أخاه، ولم يعرف (كيف) يواري سوأته، حتى بعث الله غرابين؛ فتقاتلا، ثمّ دفن القاتل قتيله في حفرة قد حفرها لهذا الأمر، حينها عرف ابن آدم ما يخرجه من حيرته، مع أنَّ حيرة القتل ظلّت تلاحقه إذ لا إمكانيَّة لإدارة العجلة إلى الخلف.

ومن ثمّ وجب التفكير فيما يُفكّر فيه بنو آدم قبل أن يقدِموا على الفعل والعمل والسُّلوك، حتى يتجنّبوا الوقوع فيما يحيّر في لحظة المفاجأة، أو يؤلم، أو يؤزّم العلاقات؛ فتلك الأساطير في زمانها كانت والحيرة فيها، وفي المقابل جاءت الأنباءات والرّسالات لتزيح الحيرة، وتجيب عن المجهول، ومع ذلك ظلّت الحيرة في كلّ المجالس والمجادلات والمحاجّات التي لا ينفكّ غموضها إلّا بمعرفة الإجابة عن السُّؤال: (كيف؟) الذي سيظل محيّرًا حتى بلوغ المعرفة عن بيّنة.

فظلّت الحيرة الفكريَّة تراود عقول النَّاس من أجل بلوغ ما يفكّ أزماتهم، وينهي آلامهم، ويمكّنهم من الاختيار المشبع للحاجات المتطوّرة تنوّعًا، سواء أكانت حاجات فكريَّة، أم سياسيَّة، أم اقتصاديَّة، أم نفسيَّة، أم اجتماعيَّة، أم ذوقيَّة، ومع ذلك سيظل السُّؤال (كيف؟) يلاحقنا وهو في حاجة للإجابة، أي: كيف تشبع الحاجات الفكريَّة؟ وكيف تشبع

الحاجات السياسيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والنفسيَّة، والذوقيَّة؟ وهنا، يكون أمر الإجابة بين أيدي النَّاس الذين يتعلّق الأمر بهم؛ حيث تقدير الخصوصيَّات، ووجوب الإرادة.

والسّؤال: ماذا تعني الحيرة البحثيَّة؟

تعني أنَّ الباحث يحتاج إلى مشرفٍ يرشده إلى قراءات ومناقشات تفتح أمامه آفاق المعرفة العلميَّة التي تمدّه بالمزيد العلمي والمعرفي؛ ولذا فالحيرة العلميَّة لا تواجه إلَّا الجادّين؛ ولهذا ينبغي أن نعرف أنَّ الحيرة هي درجة متقدِّمة من التفكير العلمي المركَّز الذي ينبغي على الباحث تقبُّله وعدم الحياد عنه إلى أن يصل بتفكيره المنظَّم إلى الانتباه الذي يقوده إلى الاختيار واتخاذ القرار عن وعي وإرادة ويقين؛ حيث لا خروج من الحيرة العلميَّة إلا بتحديد موضوع البحث الذي تمحور على إشكاليَّة لا مفر من البحث فيها إن أردنا حلًّا.

إذن: الحيرة هي نتيجة الشّكّ وعدم وضوح التخمينات تجاه الموضوع المستهدف بالبحث، وهي مرحلة مهمّة في التفكير الإنساني عند انتقاله من الشّكّ إلى اليقين، ويقال للإنسان الذي يضل طريقه: أنَّه حيران نتيجة عدم تحديده الاتجاه الصّائب الذي يود السير فيه.

وعليه:

لا حيرة إلَّا عن اهتمام، ولا خروج منها إلَّا بقراءة واعية لمشكلة البحث (موضوع اهتمام الباحث أو تخصّصه)؛ ذلك لإنَّ الحيرة بالتحديد هي انشغال الفكر فيما يفكّر فيه اهتمامًا، ولهذا فلا إمكانيَّة للخروج من الحيرة إلَّا بعد إدراك ومعرفة لما كان مجهولًا على التمام، ولا إمكانيَّة لصوغ مشكلة البحث وتحديد أبعادها ومراميها إلَّا بخروجٍ من متاهات الحيرة.

حيرةُ الباحث تُمكِّن مِن تحديد المشكلة:

عندما يُقال حيرة الباحث يكون القصد منها حيرة الجادين وأصحاب العقول الذين يأملون مستقبلًا أعظم.

وإشكاليَّة البحث في معظم الأحيان ليست معقدة كثيرًا كما هو حال المشكلة البحثيَّة، فإشكاليَّة البحث هي معضلة تواجه الفرد أو الجماعة ،أو تواجه تقنية ما، أو صناعة ما، أو اقتصاد أسرة في مدينة ما، أو في دولة من الدّول، أو هي تلك المعضلة التي تواجه أساليب التعليم والتعلم، أو تواجه إدارة من الإدارات الخاصّة أو العامّة، أو مؤسَّسة من المؤسّسات أو إنتاج شركة من الشركات، أو من أجل تجويد إدارة من الإدارات وتحسينها، أو جامعة من الجامعات، أو علاقة من العلاقات الاجتماعيَّة وغيرها كثير، وهذه الإشكاليَّات في معظم الأحيان يتولّاها الباحثون في الجامعات والأكاديميّات بالبحث في نيل الشهادات العليا والتخصصيّة.

أمَّا المشكلة فهي الكل المعقد الذي يُحدث أزمة اجتماعيَّة كما هو حال العولمة وما يُطرح باسمها على حساب الخصوصيَّات الاجتماعيَّة، أو مشكلة اقتصاديَّة، أو مشكلة صحيَّة كما هو حال مرض أنفلونزا الخنازير التي كانت مشكلة، حتى تمَّ تجاوزها بالبحث العلمي، وها نحن اليوم أمام مشكلة كبيرة وهي مشكلة كورونا 19 التي تُقلق العالم، وتثير اهتمامه بالبحث حتى لا تكون الكارثة على الوجود الإنساني بأسره، وهكذا تتنوّع المشكلات بين سياسة واقتصاد واجتماع ولكل مشكلة علّة.

ولذا فإشكاليَّة البحث هي التي تواجه المهتمّين بالبحث العلمي مما يجعلهم يصوغونها موضوعًا يستوجب البحث بعد أن تُحدّد أهدافه على الوضوح وأن يتمحور على فروض وتساؤلات ينتظم عليها بوحدة منهجيَّة تُمكِّن الباحث من الوصول إلى نتائج موضوعيَّة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

إذن: إشكاليَّة البحث أو مشكلته هي التي يحفُّها الغموض والتعسير مما يستوجب على الباحث أن يبحث عن مكامن وعلل وأسباب ذلك الغموض والتعسير حتى يعرفها، فإن تمكَّنَ من معرفتها بالبحث يتمكّن من إيجاد الحلول أو المعالجات الشَّافية للدّاء أو الأثر الذي تركته على المؤسَّسة، أو على الأفراد، أو الشركة، أو أيِّ خاضع للبحث العلمي.

ولذا عند صياغة إشكاليَّة البحث أو مشكلته ينبغي أن يركِّز الباحث على إظهار مكامن المشكلة التي تستوجب صيغة واضحة لفروضها أو تساؤلاتها التي تُمكِّنه من كشف متغيّراتها وسبر أغوارها.

فإشكاليَّة البحث بدون شكّ يحفُّها الغموض؛ فهي لن تتَّضح إلا بوضوح معالمها من خلال البحث؛ ولهذا لا عيب أن تصاغ إشكاليَّة البحث على فترتين من الزَّمن: الأولى: فترة الغموض عند كتابة خطّة البحث.

الثَّانية: فترة الوضوح وهي بعد إنجاز البحث؛ لتكون أمام لجنة المناقشين على الوضوح التَّام، وهكذا تكون بين أيدي القراء في المكتبات العلميَّة التي يتوافد الباحثون والدّارسون عليها، أي: في فترة الوضوح ينبغي أن يُعيد الباحث صياغة إشكاليَّة بحثه التي سبق أن صاغها لاعتماد الخطّة في فترة الغموض؛ ليكون غيره من بعده على بيِّنة من الأمر.

وإشكاليَّة البحث لا ينتهي البحث فيها إلا بمعرفة الحلول التي يتوصّل الباحث إليها، أي: بما إنَّها إشكاليَّة أو مشكلة ستضل قائمة بحالها إلى أن يتم التعرّف على الوسائل التي تُسهم في إيجاد حلول لها مما يستوجب على البحاث إنَّهاء إشكاليَّات بحوثهم بحلول ومعالجات لا بصياغات لغويّة نظريَّة وتعبيرات لا تُمكِّن القراء من ملامسة الحلول والمعالجات.

وكما يقولون: بما إنَّها إشكاليَّة أو مشكلة فلكلِّ إشكاليَّة ومشكلة حلّ، قد يكون ميسّرًا وقد يكون محفوفًا بالمخاطر والصّعوبات التي تستغرق الزَّمن ولا تُثمر؛ ومع ذلك لا ييئس البحَّاث ولا يتوقّفون حتى بلوغ الحلّ؛ ولذا فمن المستغرب أن تجاز بعض رسائل الماجستير والدّكتوراه في بعض الجامعات وهي غير مختومة بمعالجة أو حلّ.

وأهم ما يواجه الباحث في تحديد مشكلة بحثه هي الحيرة التي تضايق نفسه بين الحين والحين مما يجعل البعض من البحَّاث يترك موضوعًا مهمًّا ويتوجه إلى موضوع أقل أهميَّة، مثل هؤلاء البحَّاث هم الذين يختتمون بحوثهم دون أن يستشعروا بعظمة ولادتها، فهم كمن يصلّي وبعد أن يُسلِّمَ من صلاته لن يتذكر ما قرأ من سور في صلاته وإن كانت ركعتين.

لذا أقول:

بقاء الباحث في زمن الحيرة دون هروب منها يُخرجه من كل غموض ولبس إلى مكامن العلل والأسباب، التي تكمن فيها إشكاليَّة البحث أو مشكلته، وحينها يسعد، ومن بعدها لن يكون غيره أكثر إلمامًا منه فيما بحث وكتب.

وعليه: فإنَّ أوَّل مشكلة تواجه الباحث كيف يتخلّص من الحيرة التي تعيق تفكيره في أن يحدّد موضوع بحثه؟ وكيف ينتقل من الشّكّ إلى اليقين بأنَّ مشكلته تكمن في القلق الذي يحيط به والغموض الذي يتطلَّب منه

صبرًا مكتبيًّا لاستطلاع ما كُتب عن الموضوع قدر الإمكان في مجال تخصّصه، والاطلاع على المعارف المتوفرة لتساعده على صياغة مشكلة بحثه وتحديدها، والتي تنقله من الضلالة إلى الهداية مصداقًا لقوله تعالى: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[1].

إذن: الحيرة مقبولة لأنَّ بعدها هداية وتعلُّم حكمة، ولا تتَّضح مشكلة البحث إذا لم يَلمَّ الباحث بفلسفة الموضوع الذي يود دراسته، أي أنْ يلمَّ بمعرفة السرّ الذي كان وراء دفعه للبحث في هذه الاشكاليَّة بالخصوص، وتتَّضح فلسفة البحث بإجابة الباحث عن السُّؤال لماذا هذا الموضوع بالذّات؟ ولماذا لم يختر غيره؟

فإذا كانت الإجابة واضحة في ذهن الباحث بارتباطها مع وضوح الأهداف والغايات المرجوة كان للبحث حكمة، وإذا كانت له حكمة، كان له موضوع ومعنى يستوجب البحث فيه، ونحن نتّفق مع ما قاله دارون: "إنَّ تحديد المشكلات البحثيَّة أصعب من إيجاد الحلول لها"[2].

وعليه: وضوح الأهداف والفروض أو التساؤلات، وتوفّر الإمكانات، ورغبة الباحث واهتماماته، وتحفيز المجتمع للبحَّاث يذلل المشاكل البحثيَّة، ويحقق نجاحًا علميًّا رائعًا، وهذا لا يعني أنَّ كل مشكلة من المشكلات

---

[1] الجمعة، 2.

[2] R. Merton, Notes on problem finding in sociology in 'Sociology today ', 6-1959. p. 4.

اليوميَّة التي تواجه الإنسان تتطلَّب بالضرورة أجراء بحوث أو دراسات، ولكن المشكلات البحثيَّة هي التي نتائجها تجيب عن طموحات عامَّة، أو تُظهر إبداعات جديدة، أو تُصحِّح ملابسات وأخطاء، أو تُعطي مؤشّرات لبحوث ضرورية.

ويرى أرسطو المشكلة problem هي: (مسألة نظريَّة أو علميَّة يجادل فيها ولا يوجد بالنّسبة إليها رأي واضح)؛ حيث يكون الرَّأي الواضح بعد إخضاعها للبحث والتقصي الدّقيق، الذي يُمكِّن من معرفة العلل والأسباب والمتغيّرات ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بظهورها على السّطح الاجتماعي أو الإنساني، وعندما تخضع المشكلة للبحث والدِّراسة العلميَّة تصبح في ميادين المعرفة ومراكز البحوث موضوعًا بين أيدي البحَّاث، فتُرسم لها الخطط وفقًا لِما وراءها من أهداف ومقاصد وترصد لها الميزانيَّات وتحدّد الإمكانات اللازمة لدراستها أو البحث في أغوارها، ولكي تُسبر أغوار المشكلة علميًّا يجب أن تصاغ لها الفروض العلميَّة التي تُمكِّن الباحث من اكتشاف العلاقات بين المتغيّرات والأسباب والعلل التي كوّنتها أو أظهرتها إلى حيّز المشاهدة والملاحظة بعد أن كانت في حالة كمونٍ وسكونٍ.

والمشكلة البحثيَّة: هي التي لم يتم التعرّف على حلولها بعد، وهي التي ستظل باقية إلى أن يتم بلوغ المعالجات الموضوعيَّة، وقد تكون مشكلة طبيعيَّة كما هو حال البراكين وانتشار الآفات والفيروسات الضَّارة وما

يترتَّب عليها من عدوى إن لم يتم التحصين، وقد تكون اجتماعيَّة كما هو حال سوء التوافق وعدم التكيّف والتفكك الأسري والصِّراعات القبليَّة والطبقيَّة، وقد تكون إنسانيَّة كما هو حال الحروب والمجاعات وما يترتَّب عليها من اتخاذ مواقف سالبة من تعصّبات وانحيازيات أو دمار وهجرات بشريَّة مع انتشار الجوع والفقر.

وعندما تخضع المشكلة للبحث تستوجب تحديدًا دقيقًا لبعدها الموضوعي (أبعاد الموضوع هل هي ذات أبعد سياسيَّة، أم اجتماعيَّة، أم اقتصاديَّة، أم نفسيَّة، أم متداخلة بين هده المتغيّرات وغيرها من المتغيّرات التابعة والمستقلة الأخرى)، وهي كذلك تستوجب تحديدًا مكانيًّا (المكان الذي تمتد فيه المشكلة أو تتفشى، بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر)، وكذلك تستوجب تحديدًا زمنيًّا (تحديد الزَّمن الذي ظهرت فيه والمجال الزَّمني أو الفترة الزَّمنيَّة التي ستخضع للبحث).

ومن هنا تقع كل مشكلة في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع) وفي ذلك يكون (لكلّ مشكلة حلّ) أي: إنَّ المشكلة تحت سيطرة الحلّ الذي قد تكون معطياته في صياغة متغيّرات الفرض المتوقَّع، أو تكون في صياغة متغيّرات الفرض غير المتوقَّع[3].

[3] عقيل حسين عقيل، الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الوحدة الأولى مصطلحات ومفاهيم، منشورات جامعة الفاتح، الشركة الدولية للطباعة، الطبعة الأولى، 2007م، ص 137.

ومن مشكلة البحث يصاغ موضوعٌ للبحث، والموضوع هو ما يشغل بال البحَّاث ويجعلهم يولون اهتمامًا منظّمًا ويدخلهم إلى ميادين الحيرة ويخرجهم منها إلى ميادين المعرفة الواعية.

والموضوع قد يكون على مشكلة أو له مشكلة، وقد يكون لظاهرة طبيعيَّة أو عقليَّة أو اجتماعيَّة، وقد يكون تطلُّعاتيًّا لصناعة المستقبل الأفضل وفقًا لِما يُشبع الحاجات المتطوّرة؛ ولذا فإنَّ تحديد الموضوع وفقًا لمتغيّراته وامتداداته يجعله في متناول البحث الموضوعي، سواء كانت هذه الامتدادات اجتماعيَّة، أم اقتصاديَّة، أم سياسيَّة، أم نفسيَّة، أم ذوقيَّة، أم ثقافية، ومدى تأثيرها على الفرد والجماعة والمجتمع في الأسرة أو المدرسة أو في ميادين العمل وأماكن الترفيه وممارسة المناشط الحرّة؛ ولهذا ينبغي أن يحدّد الباحث أو الدَّارس معالم بحثه، حتى لا يكون موضوعه مجرّد توهّم ليس إلَّا.

ولهذا فالموضوع يتكامل بمتغيّراته وبعلله ومسبباته وبما يكمن فيه من معضلات وحلول، وبما يحتويه من قيم، وما يؤدّي إليه من مكاسب ومعالجات، والنَّاس في حاجة إليها سواء على المستوى الفردي أم الجماعي أم الاجتماعي.

وفي الموضوع مثلما تكمن المشكلة يكمن الحلّ، الذي منه يستمد الباحث أهميَّة بحثه، وأهداف بحثه، وفروضه أو تساؤلاته، ومنهجه وأدواته البحثيَّة، التي على ضوئها تصاغ الخطط البحثيَّة بكل موضوعيَّة.

ولذلك فكثير من الظواهر تُدرس وكثير من المشاكل والإشكاليَّات تُبحث؛ ولهذا فإشكاليَّات البحث كامنة خلف ما تتركه من آثار سلبيَّة أمَّا الظَّاهرة phenomenon فهي ما ليست بخافية بأثر طبيعي أو عقلي أو اجتماعي، فالخسوف والكسوف والزلزلة والبراكين والتصحُّر ظواهر طبيعيَّة، والنبوغ والتفوق العلمي والإبداع والاختراع والإيمان والكفر ظواهر عقليَّة، وهكذا الزَّواج والطَّلاق والتعاون والتفاعل والمشاركة والوحدة والاندماج والفساد والجريمة والانحراف ظواهر اجتماعيَّة.

إذن: الظَّاهرة يمكن أن تكون ذات أثر موجبٍ ويمكن أن تكون ذات أثر سالبٍ، وقد يترتَّب على الظَّاهر ظواهر أخرى، فعندما يكون الفساد هو الظَّاهرة فقد تترتّب عليه ظاهرة الشخصانيّة، والنّفاق، وسوء الإدارة، والتفكّك الأسري ما يجعل الفعل السَّالب في حالة تجزئة، وقد يترتَّب على ظاهرة الفساد ظواهر ذات أثر موجبٍ؛ وذلك عندما تتكون الجماعات الرّافضة لهذه الظَّاهرة، مما يجعل ردود الأفعال تؤدّي إلى الالتزام الدِّيني والخُلقي فتظهر التنظيمات الرَّافضة والمقاومة لظاهرة الفساد وتتّسع دوائر المقاومة، حتى يصبح الإصلاح هو الظَّاهرة الأهم والأعظم.

ومن ثم فإنَّ لكل ظاهرة ماهيَّة ودلالة بها تتكوَّن وبها تُستقرأ وتُبحث؛ ولذا لا وجود لأيّ ظاهرة إلا بمبرراتها العلميَّة والمنطقيَّة التي بها يتم التعرّف عليها.

والظَّاهر هو ما ليس بكامنٍ ما يجعله خاضعًا للملاحظة والمشاهدة والتعرّف عليه بشكل مباشر أو غير مباشر، وهكذا تُحلل المعلومات وفق البيانات المشاهدة، والملاحظة والمحسوسة، سواء أكانت سلوكًا أم شكلًا، أم كمًّا، أم فعلًا، والظَّاهر هو الذي يتم التوقّف عنده من أجل التعرّف عليه، ومع ذلك ليس كل ظاهر واضحًا، بل معظم الظواهر تحتاج إلى توضيح، سواء أكانت ظواهر طبيعيَّة أم اجتماعيَّة، والتوضيح هو تبيان ذلك الظَّاهر بما ظهر به عن الكامن، وبما ظهر عنه من أفعال، أو أقوال، أو إنتاج، فالإنسان قيمة كامنة في الإنسان الشّكل، وهكذا السُّلوك تصرف ظاهر من الشّكل الذي له كامن.

والظَّاهر هو الذي لم يعد مخفيًّا عن المشاهدة والملاحظة ما يجعله بيّنًا للمعاملة والتعامل الموضوعي، وهو الذي من وراء ظهوره غاية، ما يجعله قابلًا للامتداد والحركة ويتجسدّ في السُّلوك والفعل بالنّسبة إلى ما يتعلّق بالحياة البشريَّة؛ ولهذا فالظَّاهر ما ليس بكامن، والعلاقة بينهما كالعلاقة بين النيَّة والفعل، فالنيَّة ساكنة كامنة إلى حين تتوافر معطياتها فتمتد من حيِّز سُكونها إلى الظُّهور في الفعل والسُّلوك، ومثل: النّواة التي فيها تكمن النخلة التي عندما تُغرس النّواة في التّربة المناسبة لنموها تظهر النخلة منها للمشاهدة والملاحظة، وتنتهي النواة وتصبح هي الأخرى محمولة (كامنة) في النخلة عندما تثمر.

وعليه: فالإنسان كشكل ظاهر يصعب الحكم عليه بأنَّه خيّرٌ أو شريرٌ إلَّا بعد التعرّف عليه عن قرب بالمشاهدة والملاحظة والمشاركة، وكثيرًا ما يكون الظَّاهر نتيجة للكامن، ووسيلة للتعرُّف عليه؛ ففي التحليل النفسي يكون الظَّاهر وسيلة للتعرُّف على الكامن، ويكون الكامن غاية لإصلاح الظَّاهر؛ ولهذا يتمّ التعرُّف على الكامن بالظَّاهر، ويتم إصلاح الظَّاهر بإصلاح الكامن؛ فالسُّلوك كظاهر، قد يكون أمام المشاهد سويًّا، أو مثالًا، أو فيه القدوة، ولكنَّه في الواقع قد يكون على غير ذلك، فالابن أو الابنة كثيرًا ما يكونان أمام أسرتهما، وبخاصّة الوالدين، على خُلق والتزام وأدب، ولكنَّهما في حقيقة الأمر قد يكونان من ورائهما على غير ذلك، فمِن خلفهما قد يقومان بأكبر الانحرافات السُّلوكيَّة، وعندما يتم إبلاغهما (إبلاغ الأبوين) بأنَّ أحد أبنائهما منحرفٌ مع الاتجاهات السلبيَّة، فإنَّهما قد يفورا رافضين هذا الادِّعاء وبغضب، مع أنَّه الحقيقة؛ ولذلك الحكم بالظَّاهر على الظَّاهر قد لا يؤدّي إلى الصّواب، والظَّاهر قد يكون شكل وصورة، وقد يكون قولًا أو سلوكًا، ولكلٍّ منهما خطوات ينبغي أن تراعى في تقصي الحقائق. ولهذا ففي العلوم الطبيَّة والتحليل النفسي لا يتوقف الطبيب أو الأخصائي النفسي والاجتماعي عند المشاهد والظَّاهر إلَّا باعتباره نقطة الانطلاق لبداية الدّراسة، أو التشخيص، أو العلاج؛ لأنَّ الحكم على الظَّاهر بمشاهدته ووصفه، أو تحليله وكأنَّه غاية في حد ذاته، قد لا يؤدّي إلى نتائج علميَّة، يمكن الاعتداد بها والاعتماد عليها، والظَّاهر

قد يكون مشاهدًا، وقد يكون محسوسًا (ملموسًا ومدركًا) مثل ارتفاع حرارة المريض التي باللمس يتم التعرُّف عليها، وعند قياسها يمكن تحديدها بدقّة، ولكن الذي يود أن يعرفه الطبيب، أو الأخصائي النفسي والاجتماعي هو معرفة الأسباب التي تكمن ورائها، وعند مشاهدة الطبيب أو الأخصائي النَّفسي والاجتماعي المريض مُصفر الوجه، هل يتوجهوا إلى معالجة الاصفرار الظَّاهر؟ أم إلى البحث عمَّا يكمن وراءه من علل، وأسباب؟ لذلك يكون الاصفرار كظاهر مؤشّرًا إلى البحث عن كامن، لأنَّ الاصفرار مسبّب، وبما أنَّه مسبّب، إذن: لا بدَّ وأن تكون له أسباب، ومسبّبين له؛ ولذلك قد تكون الأسباب هي الأخرى ظاهرة بعد التعرّف عليها، كأن يكون سبب الاصفرار هو مرض عضوي لا قدر الله في الكبد، أو المرارة وغيرها من المسبّبات الظَّاهرة، وقد يكون السّبب غير ظاهر، كأن يكون سبب اصفرار الوجه هو الخوف من الامتحان، أو من نتائج مترتّبة على ارتكاب فعل يعاقب عليه الوالدين والقانون أو المجتمع أو نتيجة مواقف قد تُعرِّضه إلى الهلاك، وهو لم يستطع اتخاذ قراره بحريّة حيالها، مثل: الجندي في جبهة القتال الذي تصدر له أوامر دخول المعارك، دون أن يكون له رأي أو حتى وجهة نظر في ذلك.

بناء على ما تقدّم: فإنَّ إشكاليَّات البحث كثيرة ولا يمكن أن تنتهي؛ ولهذا البحث لا ينقطع فمهما تطوَّرت المشاكل وتعقَّدت تطورت في مقابل

ذلك أساليب البحث العلمي وطرقه ومناهجه وأدواته الممكِّنة من البحث وحلّ الإشكاليَّات البحثيَّة.

الأهدافُ تُنجَزُ:

الإنجاز بلوغ نتيجة كانت مفترضة، والهدف هو الوحيد الدَّافع إلى الإنجاز وفقًا لقراءة موضوعيَّة؛ ولهذا فالأهداف أولويَّات معرفيَّة قابلة للإنجاز، ولا تكون إلّا عن وضوح رؤية أو خطة أو استراتيجيَّة، ومن ورائها تكمن مقاصد كثيرة، سواء أكانت مقاصد شخصيَّة، أم وطنيَّة، أم إنسانيَّة، وهي: قابلة للتحديد والإنجاز حسب الجهد، والإمكانات المتاحة.

إنّها المدى الممتدّ من الرّغبة إلى المأمول، ولا تحدّد السياسات والاتجاهات العلميَّة والفكريَّة إلّا بها، ولا يتم الإنجاز المصنّف القابل للقياس إلّا بوضوح رؤية من حدّدها.

والأهداف هي ذلك المرجو إنجازًا سواء أكان الإنجاز بحثًا علميًّا، أم عملًا، أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة، لتكون مرشدة لمراميها بلا غفلة.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفةً أو إصلاحًا وبناءً وإعمارًا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه؛ ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين المفسدين والمنحرفين والمصلحين ما لم

يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا بنائيَّة قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ، ومأمولات يتمّ نيلها. ولأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين في خصوصياتنا وفي آمالنا وإن اتفقنا في بعض منها، فلا إمكانيَّة للقضاء على الاختلاف؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِيْنَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}4.

ومن ثمَّ فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقًا لما يصلح الأفعال ويقوِّم السُّلوك ويجمع شمل المتفرّقين، ويحلّ تأزُّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة تحدِّيًا وعدلًا وارتقاء.

فمن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما

4 هود 118، 119.

تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص ما زالت سانحة؛ فالنّدم يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

وعليه:

إنّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الأخصائيين والباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات؛ ولهذا:

. حدّد أهدافك قبل أن تبحث أو تعمل.

. وضّح أهدافك للغير إذا كانوا على علاقة بها.

. فكّ اللبس أو الغموض عن كلّ مفهوم من مفاهيم أهدافك.

. ثق أنَّ الأهداف تنجز؛ فلا تتأخّر عن العمل على إنجازها.

. تحديد الأهداف يدلّ على وضوح الرّؤية.

. غموض الأهداف لا يؤدّي إلى تحقيق نتائج.

. تحديد الأهداف يمكّن من التدبّر.

. إنجاز الأهداف يتطلّب جهدًا يبذل عن رغبة.

. إنجاز الأهداف يتطلّب صبرًا وعزيمة.

. إنجاز الأهداف يستدعي وعيًا بأهميّتها.

إنجاز الأهداف العظيمة يستوجب قبول تحدٍّ وتحدّيه.

ولهذا وجب التدبّر الذي ترسم سياساته وفقًا لأهداف واضحة؛ وذلك بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي للعاطفة أن تجرّ أصحابها إلى المسالك التي تجعل من الغير معتمدًا على الغير اتكاليَّة، ووفقًا لهذه القاعدة الأخلاقية لم ينجرَّ الأخصائيون الاجتماعيون إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادةً وعملًا، وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس ترسيخ الفضائل والقيم الحميدة، وإنجاز الأهداف.

وعليه: فإنَّ الأهداف ليست بأمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للأخصائيين والباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء

مهنةً وعلمًا ومعرفةً وإنتاجًا وحرفةً؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيَّات على أيّ مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة وأيّ مستوى من المستويات السياسيَّة والاقتصاديَّة والمعرفيَّة ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائمًا عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه فلن يستطيع أن ينجز شيئًا يمكن أن يكون على الأهمية المرجوة.

وعليه:

. الأهداف ليست أمنيات كُسالى، بل هي التي تحمل في أحشائها الموضوع أو المشكل برمّته.

. الأهداف لا تحدّد بدقّة إلّا من قِبل الجادّين.

. الأهداف تنجز أوّلًا بأوّلٍ.

. الأهداف تهدي الباحثين وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الأهداف لا تحدّد إلّا من قبل القادرين على إنجازها.

. يعد تحديد الأهداف كسر فيما كان يظن أنّه صعبٌ لا يكسر.

. ويعد إنجاز أوّل الأهداف أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. الأهداف العظيمة تؤسّس وضوحًا وإنّها قابلة للإنجاز.

ولهذا فتحديد الأهداف لم يكن غاية في ذاته، بل هو ضرورة لطي الهوة بين من كانت لهم أهداف والمستهدف منها؛ فالأهداف ترتّب أوّلا بأوّل؛ ذلك لأنّ إنجازها متتالٍ ومتلاحق، وهي بعد الإنجاز تفتح آفاقًا جديدة لصوغ أهداف جدية لا تتولّد إلّا من بعد الإنجاز السّابق للأهداف السّابقة عليها.

ومع أنَّ البداية تعد نقطة الصّعوبة، فإنَّها في النّهاية لا تعد نقطة الاستحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ، والمأمولات تُنال.

ولأجل ذلك ينبغي أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وتحديد الأغراض وتحقيقها، وتحديد الغايات وبلوغها، وتحديد المأمولات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوّلا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقَّع عندما تكون متطوّرة ومتجدّدة لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي لنا تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنَّها أهداف تنجز؛ فلا تكون ذات أهميَّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ولهذا لا ينبغي للأهداف أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة تحديد الأهداف مؤسّسة على الإنجاز، وإلّا لا داعي لتحديدها، أي: كلّ ما أنجز بنو آدم هدفًا ينبغي أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن ورائها مأمول عظيم.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقَّع البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يعمل على إنجازها وكأنَّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ فالأهداف ارتقاء ينبغي أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية ومن ورائها مأمول.

ومن ثمّ ينبغي على الأخصائيين الاجتماعيين عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق للعملاء الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة؛ ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

إنجاز الأهداف يُمكِّن مِن التعرّفِ على المتوقَّعِ:

مع أنَّ الأهداف ذات مرامي في ذهن الباحث الذي صاغها وحدّدها، فإنَّها ستظل نظريّة إلى أن تنجز.

ومن هنا فالأهداف مع أنّها لا تولد إلّا مِن أحشاء الموضوع أو الرؤية أو المشكلة، لإنَّها في حقيقة الأمر هي المؤسَّسة على فرضيَّات منطلقة من معلومات متاحة لمعرفة أخرى مجهولة، وأحيانا تنطلق من تساؤلات عن المجهول، فَتُمكّن من الإضافة الجديدة؛ والمجهول هنا ما لم يكن معلومًا بعد، ممّا يستوجب البحث من أجل كشفه والتعرّف عليه؛ ليكون إضافة جديدة للمعارف والعلوم السّابقة؛ فينبغي للبحاثين إن أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن؛ ومن ثمّ فالباحثون الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلميَّة لن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل يتمكّنوا فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم؛ فالفروض وإن عظمت نتائجها لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

أمّا التساؤلات فهي أسلوب بحثي معمّق يمكّن أصحابه من معرفة الجديد المجهول، قال عزّ وجلّ: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ

فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}[5]؛ فقوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ!) هو تساؤل، ولم يكن سؤالًا، ولم يكن استفسارًا؛ لأنّ السّؤال دائمًا يلاحق إجابة سابقة عليه، بهدف إعادتها ثانية أو أكثر من ذلك، وكذلك الاستفسار لا يكون إلّا عابرًا ومن العموم، أمّا التساؤل؛ فهو يستوجب بحثًا علميًّا وتقصًّا دقيقًا من أجل معرفة المجهول وفقًا لأهداف واضحة بغايات مأمولة.

ولأنّ المشركين يتساءلون عن المجهول؛ فكانت المعلومة من العليم، أنَّ ما تختلفون فيه هو النبأ العظيم الذي يتنزّل تنزيلًا، أي: إنَّ المشركين كانوا يعتقدون أنّ ما جاء به سيدنا محمّد عليه الصَّلاة والسَّلام لا يمكن أن يكون منه، وهنا كانت علامات الاستغراب تدور في أنفسهم كما تدور بينهم، وهم يتساءلون؛ فأنزل الله المعلومة حُجّة: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)، وستكون الشواهد على ذلك متوالية، وسيعلم الكفَّار بذلك شواهد دالة على أنّه الحقّ المنزّل، (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ). أي: إنَّ المعجز إن تمّ الاستفسار عنه فلا يُبلغ إلّا تنزيلا، أمّا الممكن فلا يُبلغ إلّا بحثًا معمّقًا وإن كان غير متوقَّع.

ولذلك وجب تقدير الشّطحات العلميَّة؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمَّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل فالشّطحات عندما تكون موضوعية؛ تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفيَّة

---

5 النبأ 1 . 4.

التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعيَّة؛ فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعًا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي للإنسان أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ولهذا فالتَّطلُّع يُمكّن الإنسان من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة؛ فلا ينبغي أن نضع إشارة قفْ أمام التفكير العلمي لبني آدم؛ بل ينبغي أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملًا متحقّقًا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدًا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع؛ فينبغي لنا أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلًا؛ فلا مستحيل قبل العجز؛ ولذا وجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنَّنا خُلقنا لذلك فينبغي أن نعمل والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزًا، وحينها ندرك أنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثِّقة؛ إذ كلّ شيء ممكن حتى وإن كان غير متوقَّع.

ولأنّه المستحيل فهو لا يعيق العمل ارتقاءً، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض وإحداث النُّقْلَة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفليَّة التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني والذّوقي؛ فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم،

هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونيَّة، ولكن لأنَّ الارتقاء والدّونيَّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا فهما بيد الإنسان مطلبًا ورغبة واختيارا؛ ولذلك ينبغي للأخصائيين المهنيين أن يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقْلَة الممكّنة من معرفة المجهول وإصلاح حالات الفساد وتقويم سلوك المنحرفين.

ومع أنَّ الأهداف وليدة الزّمن الآن (وقت صياغتها) فإنَّ زمن إنجازها لا يكون إلَّا في الوقت المترتب على الوقت الحاضر (المستقبل المأمول)؛ ومع ذلك فالمستقبل غير منزوٍ عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول، وهو الذي بدونه لا يجد الأمل حلّا.

ولأجل المستقبل ارتقاء، وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل؛ وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلّا بعد تأزّم.

ومن هنا فإنَّ تحديد الأهداف في الزّمن الحاضر يعني: إنَّها لن تنجز إلّا في الزّمن المستقبل الذي يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهميَّة كبيرة في الإصلاح والبناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الاستراتيجيَّة التي وضعت له اللبنات

الأولى، فالمستقبل يعد الأرضيّة الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع، وبذلك يكون التفكّر عنصرا مهمّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدما نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندًّا لها.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضٌ معيّنٌ يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرؤية المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية للكثير من الطموحات، وحتى التداعيات التي تُخلّف انفراجًا وإن كان وقتيًّا فإنَّه قد يكون سببًا في حلّ الكثير من المتعلقات المفترضة، كما أنّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويًا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانا بين الحضور الحاصل، إلّا أنّ مكمنها قد لا يبدو واضحا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان.

وعليه: يكون التفكّر واقعا ضمن دوائر متعددة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن ينجزه أو يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعية فإنَّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون متواجدة بشكل لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلًا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات التي يكون من ورائها الإصلاح أو البناء المطلوب؛ لأنّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النَّاس جميعًا حياة أفضل، فيها الأهداف تنجز أوّلا بأوّل، وفيها التقدم يتولّد أوّلا بأوّل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسمتها الإيجابيَّة المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتًا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيًّا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزًا مهمًّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائمًا إلى وجود خروقات طبيعيَّة وغير طبيعيَّة، تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثًا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل فيه تنجز الأهداف المحدّدة والسياسات المرسومة[6].

وعليه: الأهداف هي ذلك المرجو إنجازًا سواء أكان الإنجاز بحثًا علميًّا أم عملًا أو أيّ مقصد من المقاصد المعلومة، ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة، لتكون مرشدة لمراميها.

6 عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 . 135.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يأملون انجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًّا، وبين الهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاءً. وفي هذا الشأن الأمر لا يزيد عن كونه أملًا، وسيظل أملًا، لأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين في خصوصياتنا وفي آمالنا وإن اتفقنا في بعض منها: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[7].

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاءً.

فمن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛

[7] هود 118، 119.

فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالنّدم يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاءً تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها قمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيَّة، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهميَّة الموضوع أو القضيَّة التي هم يعملون أو يضحّون من أجلها. ولهذا:

- حدّد أهدافك قبل أن تبحث أو تعمل.
- وضّح أهدافك للغير إذا كانوا على علاقة بها.
- فكّ اللبس أو الغموض عن كلّ مفهوم من مفاهيم أهدافك.
- ثق أنَّ الأهداف تنجز؛ فلا تتأخّر عن العمل على إنجازها.
- تحديد الأهداف يدلّ على وضوح الرّؤية.

. غموض الأهداف لا يؤدّي إلى تحقيق نتائج.

. تحديد الأهداف يمكّن من التدبّر.

ولهذا وجب التدبّر الذي ترسم سياساته وفقًا لأهداف واضحة وذلك بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادة وعملًا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة، ولهذا لا يمكن أن تبلغ الغايات العظام بلا أهداف والأغراض من ورائها حافز ودافع.

الأهدافُ تدبُّرًا:

أهداف الباحث العلمي لا تُستمدّ من هنا وهناك، بل إنَّها من الموضوع قيد البحث تُستمدُّ؛ ولهذا وجب حسن التدبُّر الممكّن من حُسن التفكير، ذلك أنَّ حسن التدابير يُمكِّن من إيجاد معالجات لأيّ طارئ متوقَّع، وبه تنجز الأهداف رغبة؛ فالتدبّر دراية عقليَّة يرتقي بحاضر أصحابه إلى ما يمكنّهم من الأخذ بما ينبغي في سبيل إحداث النُّقْلَة سياسةً واقتصادًا وعلمًا ومعرفةً، نُقلة تطوي صفحات الحاجات المتطوّرة بمشبعات مُرضية وفقا للفرضيَّات التي تأسّست عليها، والأهداف التي رُسمت لها وصِيغت؛ ممّا يجعل المعالجة منطوية على إيجاد إصلاحات أو حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلة، أو حلّها من جذورها؛ فالتدبُّر ارتقاء يمكّن من مواجهة المفاجآت التي يمكن أن تحصل في الزّمن الحاضر دون أن تترك أثرًا سلبيًّا.

ويتّسع التدبّر ارتقاءً ليكون حضوره ملبّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة، إلا أنّه لا يكون حلّا نهائيًا؛ فكلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائمة، لكنّها في وقتها إن كانت ارتقاء فهي لا شكّ تمثّل الحلّ الأمثل في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقَّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيًّا فإنَّه يفتح مدارك الإنسان رُقيّا في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، التي تتّسع لكلّ المفاجآت، التي يمكن أن تحدث.

ففي الزّمن الآني يحدث الكثير من الأحداث التي يكون وقوعها ممثّلًا لمشكلة أو لأمر غير متوقَّع؛ فتكون المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلة التي تمت دراستها وفق أهداف واضحة، ولذلك يسهم الحلّ الآني تدبّرا في خلق أهداف وفروض متعددة منتمية إلى مخاوف مفترضة، وهنا يظهر الخوف كمؤسّس حقيقي لفرضيات تسهم بشكل كبير في إيجاد مساحات جديدة فيها من التدبّر والمتناوبات المختلفة التي تشير بشكل أو بآخر إلى وجود افتراقات في المنجز الافتراضي، وهذا يبعث في الرّؤى العامّة المتحقّقة روح الامتداد المستفيض الذي يخلق تبعات واضحة تجد صداها عند كلّ هدف أو فرضية موجودة سواء أكانت متحقِّقة أم كانت في طور الانتماء العام لأهداف وفرضيات أخذ الحيطة والحذر من أجل سلامة المتدبّر من أجله.

إذن: يوجد التصاق بين التدبّر الإنساني والزّمن الحاضر وما تصاغ فيه من أهداف وفروض، أي: لا تدبّر إلّا حاضرٌ، ولا أهداف تحدد إلّا حاضرٌ، وهذا الأمر جعل من التدبير يدور في المعاجم التي تنتمي إليها الحلول الآنيَّة التي لا يمكن معاودتها مرّة ثانية؛ لأنّها لم تنتمِ إلى دائرة الثبات التحقّقي؛ فهي تزاول نشاطها ضمن مساحات محدودة يدفعها الخوف باتجاهات ترتبط به وبدون أن يمنحها حقّ التراجع؛ لأنّها في حقيقة الأمر لا تمتلكه؛ كونها تابعة للخوف بوصفه المانح لكلّ الرسوم التي تُسيّر الحلول في زمنها الحاضر وفقا لما هو ممكن.

وهنا يباشر التدبّر وجوده من خلال الارتماء في حضن الواقع الذي يكون فيه المشكل حاصلا بكيفية متوقَّعة وغير متوقَّعة؛ فتنبري الحلول المستدعاة تدبّرًا بتقنيات مختلفة؛ إذ تدور كلّها حول إيجاد حلّ سريع وملبٍّ للواقع، ويكون الزّمن مفتوحًا ضمن مدى يقصر وقد يطول بحسب الاحتياج المطلوب، فتتعالق عوامل متعددة ومتنوّعة تسهم بأشكال مختلفة من أجل الوصول إلى إنجاز الأهداف وبلوغ الحلّ المنشود أملا[8]. ومن هذا العرض الموضوعي نستمد الخصائص المهنيَّة للأهداف التي منها:

1 ـ ارتباط الهدف بمتغير من المتغيرات الرَّئيسة للمهنة.

2 ـ وضوح الهدف وتحديده وفقًا لمرامي المهنة أو التخصّص.

3 ـ قابليّة الهدف للإنجاز، وفقا لفلسفة المهنة ومبادئها الإنسانيَّة.

4 ـ قابلية الهدف للقياس المعياري.

5 ـ ارتباط الهدف بالظرف الزَّماني والمكاني والموضوعي، مع مراعاة الخصوصيَّة الاجتماعيَّة والثقافيَّة لكلّ حالة من الحالات قيد البحث والدّراسة.

6 ـ قابليَّة الهدف إلى تحقيق نتائج مرضية على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي.

8 عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 127 ـ 131.

7 ـ قابليَّة الهدف للتفكيك والتركيب لمعرفة الخفايا والأغراض التي من ورائه.

8 ـ قابليَّة النتائج التي يؤدّي الهدف إليها للتوظيف المهني بما يخدم الحالات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة.

9 ـ قابليَّة الهدف للتقويم مع كل عملية من عمليَّات الدراسة المهنيَّة.

10. الدافعيَّة لزيادة فعالية المؤسَّسات الاجتماعيّة.

11 ـ قابليَّة الهدف لاستيعاب الحالات المختلفة في بيئات مختلفة.

12 ـ مرونة الهدف بما يمكّن من تفهّم الخصوصيَّات الثقافيّة والدينيّة والمعرفيّة[9].

الأهدافُ تَصنع المستقبل:

مع أنَّ الأهداف مأمولة التحقيق إذا ما تمَّ إنجازها، فإنَّ البحَّاث العارفين والدَّارين بأهميَّتها فلا يرونها واقعًا إلَّا في الزَّمن المستقبل؛ ولهذا لا يصنع المستقبل إلَّا في الزمن الحاضر؛ وبهذا وكأنَّ الحاضر ورشة صُنع المستقبل؛ ولذا فالمستقبل ليس ذلك الزَّمن المنتظر في ذاته، بل هو ذلك المأمول الذي لا يتحقّق إلَّا فيه؛ ولهذا فالمنتظرون للزّمن في ذاته لا شكَّ أنّ

[9] عقيل حصين عقيل، الأهداف المهنية ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة: 2018م، ص 7 – 21.

ما ينتظرونه سيكون متحقّقًا، ولكن بلا آمال؛ لأنّه الزَّمن المنتظر، وهذا الذي نحن نخشاه وفي شأنه نقول:

. لا ينبغي أن تنتظروا الزَّمن، بل عليكم بانتظار ما تأملون أن يكون تتويجًا لما تبدلونه من جهد تكون ثماره إنتاجًا بين أيديكم في الزَّمن المنتظر (المستقبل).

. المستقبل زمن لم يأتِ بعد، وهو الذي ترسم الخطط وتوضع الاستراتيجيات من أجل بلوغه عملًا وإنتاجًا ونهضةً وتقدّمًا، ممّا يجعل الزَّمن ليس غاية، بل الغاية تفادي ما يمكن أن يكون فيه حاصلًا سلبيًّا.

. المستقبل غير منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مساهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول ارتقاءً، وهو الذي بدونه لا يجد الأمل حلًّا.

ولأجل النّهوض ارتقاءً، وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل؛ وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلًّا بعد تأزّم؛ فالبحث العلمي ارتقاءً يستوجب أسلوبًا مرنًا، وطريقة تستوعب التاريخ تجربة ومنهجًا ووسيلة.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناءً، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضًا؛ والإنسان بين قاعدة واستثناء لا ييأس؛ ولهذا وجب العمل الذي يمكّن من بلوغ الغايات العظام التي يأملها؛ فالإنسان متى ما فقد الأمل فقد المستقبل المنقذ.

ولأنَّ الانحدار بين قاعدتين: (حُسن الخَلق، وضرورة الارتقاء)؛ فهو باق مادمنا باقين، وله الثلث في حياتنا من المورث انحدارًا؛ ولهذا فلا داعي للقلق بما أنّنا نرث الثلثين (خَلقًا وارتقاءً)، ولكن هذا لا يعني أن نظل كمن ترك له أبوه إرثًا ولم يستثمره فانتهى صفرًا.

ولأنَّ لكلّ قاعدة شذوذ، فلا إمكانيَّة لبلوغ الحلّ كمالًا؛ فتلك الجهود عبر التّاريخ، وهذه الجهود، ستتلاقح ارتقاءً بغاية إنتاج الفِكْر الممكِّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولأنَّ الارتقاء رغبة وأمل، فسيظل أملًا يسعى في الزَّمن المستقبل نهوضًا وهو لا يُمكن أن يلاحق إلّا بالعمل إنتاجًا وإعمارًا وبناءً وبحثًا علميًّا، مع الاهتمام بالقيم التي تنال التقدير من النَّاس.

إنَّ التفكّر في المستقبل يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهميَّة كبيرة في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الاستراتيجيَّة التي وضعت له اللبنات الأولى، فالمستقبل

يعدّ الأرضية الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع؛ وبذلك يكون التفكّر عنصرًا مهمًّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدّمًا نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندًّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مساهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلًا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيِّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعلية تثري التفكّر وتمنحه أبعادا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة؛ كي يكون الاتساع المرافق ملبّيًا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شموليَّة مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضًا معيّنًا يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرؤيا المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية للكثير من الطموحات وحتى التداعيات التي تخلف انفراجًا وإن كان وقتيًا إلّا أنّه قد يكون سببًا في حلّ الكثير من

المتعلقات المفترضة، كما أنّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويًّا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانًا بين الحضور الحاصل، إلّا أنّ مكمنها قد لا يبدو واضحًا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري لنا مسألة مهمّة ألا وهي التنظيم المطلوب ضمن هذه الصيرورة، إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم وجعله منهجا يكمن فيه التحقّق المطلوب، ويكون الحذر حاضرًا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبليَّة المطلوبة؛ فتكون الآليات المطروحة تسير وفق اتجاه يكتنفه الحذر وفق كلّ التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلّ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبيا للبداية التي طرحت كلّ ما من شأنه كي يصل التفكّر إلى هذه المرحلة وما بعدها ارتقاءً.

وينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب؛ كي تكون الصورة المطلوبة واضحة وملبّية لكلّ التغايرات التي يمكن أن تحصل فالارتباط المطلوب يغرس في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة يكون مبعثها متزامنًا مع التفصيلات التي يكمن فيها الحذر من أجل تحقيق مستقبل أفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائية تتحكّم بشكلّ ينمّ عن وجود ارتباط فعلي بين هذه الامتدادات الثلاث، ولأنَّ النّهاية مفتوحة سيبقى الحذر مفتوحًا ولا يتقيد بأيّ قيد يمكن أن يكفّه عن تحقيق فاعليته؛

فالنّهاية المفتوحة تكون حافزًا على خلق استمرارية في البحث تتّجه دائمًا نحو شموليَّة يتّسع مداها كي تكون متجاوزة لكلّ الأساليب التقليديَّة التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنّها تمثّل النّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالفًا للحياة التي نعيشها؛ فهي قائمة على استنهاض مستمر، وبحث مستمر والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير، لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكًا وفوضى معرفيَّة لا تكون نتائجها محمودة أبدًا، وفي المقابل تفطين الذاكرة لاحتواء ما يُنتج عبر الزَّمن ماضيًا وحاضرًا، يقود بسلام إلى تطلّع مأمول لا يتحقّق إلّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلًا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق فهو من باب أنّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرًا بالاتجاه الصّحيح دون أن تكون له قاعدة يتكأ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة سواء أكانت نظريَّة أم عمليَّة؛ فتوجه الحذر يكون متماشيًا مع هذه الامتدادات كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز تريده.

وعليه يكون التفكّر واقعًا ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعيَّة إلاّ أنّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون متواجدة بشكلّ لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات

التي يكون من ورائها البناء المطلوب، لأنّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادا مهمة تساهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق، لأنّ السّابق متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءًا مغايرًا مبنيًّا على تشعبات استبطانية وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّه نحو إيجاد البدائل أو إيجاد الجديد الذي يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء التي تكون ملبّية للتساوي الذي يجب ألاّ يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النَّاس جميعًا حياة أفضل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسمتها الإيجابية المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيًّا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزا مهمّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائمًا إلى وجود خروقات طبيعية وغير طبيعة تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن

فيها الدرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل أنفع، وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرا يمنح الإنسان وعيا مستمرا أيضًا، ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق؛ فيكون الخزين العام منساقا نحو هذه الزيادة التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكرية المطروحة؛ فيكون الاغتناء الفكري قد وجد له تمويلا مستمرا يمنحه ما يشاء، وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد وكلّ ما هو بديل للحاصل[10].

وعليه:

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلّا بالتفكّر، ولهذا فعلينا به تخطيطًا، مع السّماح للبحاث بالتفكّر حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا، ومن معرفة المعجز معجزًا، ومن معرفة الممكن ممكنًا حتى وإن كان غير متوقّعًا، ولهذا فصناعة المستقبل المأمول تمكّن من معرفة المجهول وكشف خفاياه.

ولأنّ الحياة من أجل المستقبل؛ فنحن بني آدم نتعلّم، ونبحث عن فرص عمل، ونتزوج، ونصادق من يصادقنا، وعندما نتعرّض لسوء التكيّف قد نُطلق عند الضّرورة، وعندما تقوى علاقاتنا نُشرّع، ونسنّ القوانين

[10] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 . 135.

والنّظم، ونحدّد الأهداف ونرسم الخطط، ونتطلّع بأمل إلى المستقبل القريب والبعيد، ولهذا نصوم ونصلي من أجل نيل المستقبل جنّة.

تحديد الأغراض:

ولأنَّه لا بحث علمي بدون أهداف ذات مرامي قابلة لتحقق، فإنَّه لا هدف يحدد إلَّا ومن وراءه غرض أو مقصد مترتّب على إنجازه.

والأهداف قد تكون ذات مرامي نظرية فكريَّة، وقد تكون ذات مرامي محسوسة إنتاجًا، ومع ذلك فالغرض لا يكون إلَّا ذا مرامي نفسيَّة ذات مقصد تجاه الآخر، أو تجاه الباعث، أو تجاه الغاية المأمولة، وهو المخفي وراء إنجاز الهدف، أي: وراء كلّ هدف غرض (قصد) لا يعرفه إلّا من حدّد الهدف لنفسه أو للآخرين.

ومع أنَّ الغرض لا يُعلن عنه، ولا يُطلب تحديده كما هو حال الهدف، فإنّه بالنسبة إلى من يتعلّق الأمر به واضح وجلي، فالباحث العلمي لا يمكن أن يُقدِم على تناول موضوع بحثه إلّا بعد أن يحدد أهدافه البحثيَّة بكلّ وضوح، وفي المقابل لا أحد يسأله عن غرضه (القصد) من وراء اختياره وتناوله لموضوع البحث أو مشكلته الدراسيّة؛ فهذا الأمر يخصّه وحده ولا دخل لغيره فيه.

فالغرض لا وجود له في ميادين المشاهدة والملاحظ، بل وجوده ضمني مخفي في نفس الباحث، ولكنّه مترتب على الهدف الذي كلّما أنجز

استشعر الباحث بتحقق غرضه، فالغرض أثر تحقيقه معنويٌّ؛ أمّا الهدف فأثر إنجازه ماديٌّ.

ولأجل ذلك: ينبغي لنا أن نغوص في عقولنا تدبّرًا حتى نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها، وبين تحديد المأمولات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد تفكيرًا قبل أن تصاغ أهدافًا قابلة للإنجاز، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي ارتقاءً أن يتمّ التفكير في أهداف أهم من التي أنجزت، ثم التفكير من بعدها في أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهميَّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ولهذا لا ينبغي لأهدافٍ أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة التفكير في تحديد الأهداف مؤسّسة على التفكير في المنجز قبل أن ينجز، ثمّ التفكير في كيفيَّة إنجازه، أي: كلّما أنجز بنو آدم هدفًا ينبغي لهم أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهميَّة، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن وراء الغايات مأمولٌ.

ولذلك؛ في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يفكّر في كيفية إنجازها ولا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية، وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها، ولهذا فالأهداف ارتقاءً: ينبغي أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزل عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة؛ إذ لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين هم يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو: التفكير في كلّ شيء يدفع ويحفّز على الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنية، أو الإنسانية، أو يمسّ معتقدا دينيا.

ولكن من بني آدم من يجهل ويغفل؛ فلا يفكّر فيما يجب؛ فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين التي تزداد ضيقا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنّ للألم أوجاعًا، وللتأزّم أوجاعًا، فإنَّ أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب أخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمَّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنّ نار الحقد تحرق أوّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فإنَّ الحقد يُلهي الحاقد من بني آدم عن نفسه، والحاقد في حقيقة أمره هو في حاجة لمن يطفئ عنه النّار التي يحرق بها نفسه. ومن ثمّ، فمن يعتقد أنّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها؛ فلا شكّ أنّ عضّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُفليَّة المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب ترتقي علمًا ومعرفة وتسامحًا وخبرة وتجربة؛ فتغزوا الأرض سلامًا، والسّماء بحثًا وارتقاءً.

فبنو آدم بلا أغراض قابلة للتحقق لا يعدون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا أمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل، فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُّقلة ارتقاءً، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك فلا ينبغي لبني آدم أن يكون سماعيّون فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظًا، وعليهم بالتدبّر تحليلًا وتفسيرًا وتخطيطًا وسلوكًا وعملًا، وعليهم بالتّفكّر من أجل ما يجب؛ حتى يتمكّنوا من الارتقاء وفقًا لما لهم من أغراض بناءة من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاءً بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبيّاء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا فهم يفكّرون والأمل لا يفارقهم بغاية العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه، ولأجل ذلك فمن آمن منهم يسعى ويعمل من أجله ارتقاءً، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيّا.

فبنو آدم من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، لهم أغراض فيها فيصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكّن من زيادة

الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك، المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعا وتمدّدًا.

وهنا أقول لبعض علمًاء الفيزياء وعلمًاء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم، فقد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار الكون؛ ولذا، فَلِمَ لا تفكّرون بموضوعية، وتتوقّفون عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من التفكير الممكّن من المزيد من الاكتشاف العلمي، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النَّاس جميعًا). فإن كنتم أهل موضوعيَّة؛ فلا يليق أن تتجاهلوا كتابًا يملؤه العلم والبيّنة؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية وراء آية؛ أملًا أن تتهذب أغراضكم من أخذ المواقف منه بأحكام مسبقة، إلى الأخذ بالبحث فيه لما فيه من مقاصد تجعل لكم منه مقصدًا يعود بكم إلى تلك المقاصد مصلحين.

ولهذا فلا ارتقاءً لبني آدم إلّا والبحث العلمي مصدره، والفضائل الخيّرة مصدره، والقيم الحميدة مصدره، ومن يغفل عن ذلك ليس له من خيار إلّا الانحدار على بلاطة الدّنيا.

ومن ثمّ فالارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم غرض قابل لأن يتحقّق ومن بعده يتمّ بلوغ الغايات ونيل المأمول، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُلية والدُّنيا؛ فالعُلية هي السّماء، وما فيها من نعيم الجنّة

وبقاء الحياة، أمّا الدُّنيا فهي الأرض وما عليها من مخلوقًات وزوال الحياة، وبين هذا وذاك، وجد الإنسان نفسه تفكيرًا بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى، فالتّخيير: (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحًا أو تعمل طالحًا، تُصدِّق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمّا التّسيير: فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمّة، هو: ما يمكّن بني آدم من تحقيق الأغراض والعيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزّائلة) وما يمكّنهم من تحقيق الغرض والعيش السّعيد في الحياة العلية (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا؛ فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاءً.

فالإنسان ينبغي له أن يعيش والأمل لا يفارقه، فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خَلق أبانا آدم في النّعيم؛ ليعيش وبنوه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزّائلة (الحياة المنقوصة) إذ الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاءً.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب تفكيرًا واعيًا كما تتطلَّب من بعده عملًا مبدعًا ومنتجًا بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية) والفوز بها نعيما مأمولًا.

فيجب التفكير في كلّ شيء ولا شيء، ولا سقف ولا موانع توضع أمام الفكر الإنساني، ثمّ يجب من بعد ذلك الإقدام على العمل المشبع للحاجات المتطوّرة بلا حدود؛ ذلك لأنّ الحدود عوائق أمام التقدّم تجاه بلوغ الأفضل والأعظم، ولهذا فلا ينبغي لبني آدم أن يرتضوا بالفقر؛ فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ فلو عمل بنو آدم جميعهم، لما وجد الفقر مكانا له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعًا؛ فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

ولذلك فالغنى رحمةٌ والفقر أزمةٌ ومواجع، ولأنّهما كذلك، وجب على الأغنياء العمل إلى جانب ما يعملون ويجنون من مكاسب ولا يقصرون أغراضهم على ما يشبع حاجاتهم، بل ينبغي لهم أن يعيدوا صياغتها بما يشمل إزالة الألم عن الفقراء وتحويلهم إلى ميادين العمل المنتج ارتقاءً.

فالغنى ارتقاءً حقّ لا يكون إلّا نتاج العمل المرضي، أمّا الفقر ليس بحقّ؛ بل الفقر أوجدته أسباب وعلل ينبغي لها أن تزال، أمّا العجزة والقصّر فحقوق عيشهم المرضي على كواهل العاملين من ذويهم، ولكن إن كان

ذووهم يعيشون اتكالا على الغير فالعيب لا شكّ أنَّه سيلاحقهم ومن ورائهم سيلاحق من هم مسؤولون عن إدارة الدّولة.

إذن: فالارتقاء لا يمكن أن يكون على حساب الغير، بل يكون بجهودهم المشتركة إذ لا إقصاء ولا تغييب لأحد عن ممارسة حقوقه، أو أداء واجباته، أو حمْل مسؤوليَّاته، وفي المقابل يحدث الانحدار والنّزول سُفليَّة لمن يتخلّى عمّا يجب التمسّك به حقّا وواجبا ومسؤوليَّة.

ولذلك ينبغي أن يعمل الجميع بهدف الاستغناء والحياة الرّاقية، وكلّما بلغ الجميع مستوى من العيش الرّفيع الرّغد يجب أن يفكّروا فيما هو أرفع وأرغد منه، ومن هنا: تتغيّر وتتطوّر وترشد أغراضهم نفسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا إلى ما يمكّن من ترسيخ كرامة الإنسان.

الغرض ارتقاءً يحفّز الأهداف إلى بلوغ الغايات:

مع أنَّ الغرض متعلِّقًا بنفس الباحث وهو الكامن وراء كلِّ هدف، فإنَّ الهدف لا يمكن أن يكون ارتقاءً إلَّا إذا كانت الأغراض من ورائه والغايات مأمولة، ولهذا إذا كانت الأهداف بلا أغراض تدفعها فلن تكون ذات غايات علميَّة؛ فعلى سبيل المثال: كان الهبوط بآدم على الأرض هبوط ليس فيه غرض لآدم عليه السّلام؛ وذلك لأنّ الدنيا لم تكن هدفه، فلو كانت هدفه لكان له غرض من وراء الهبوط عليها، لأنّ أدم أهبط به

كرهًا، وليس رغبة، ومن هنا: يرتبط الغرض بالرّغبة والإرادة؛ فإن توافرتا كان لصاحبهما غرض أو مجموعة من الأغراض.

إذن: الأغراض كما ترتبط بالرّغبة والإرادة ترتبط بالتخيير، ومن ثمّ فلا علاقة لها بالتسيير، أي: لا علاقة لها بالإكراه.

ولهذا فآدم الذي خُلق في أحسن تقويم انحدر من القيم التي ينبغي له أن يكون عليها إرادة ومعصية؛ فكان في سُفليَّة ودونيَّة أمام خَالقه: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[11]. ومع ذلك استغفر آدم ربّه فتاب عليه، ومن هنا فتح الله باب التوبة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[12].

ومع أنَّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارًا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفليَّة، فغفر الله له، وتاب عليه بغرض الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعد هيّنًا؛ إذ لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

ولأنَّ العمل ارتقاءً يؤدّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدّي بهم إلى ما يُغرقهم فيه؛ فهم بين هذا وذاك بين ارتقاءً فيه العمل يُتقن،

---

11 التين 5.

12 التين 6.

ودُونيَّة بها يُهمل وينحرف إلى ما لا يجب؛ ولذلك كان الصّدق ارتقاءً في مواجهة الكذب انحدارًا، وكان العدل ارتقاءً في مواجهة الظّلم انحدارًا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحرّيّة في مواجهة الاستعباد، والدّيمقراطيَّة في مواجهة الدّكتاتوريَّة، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب التحدّي بما يُمكّن من الارتقاء غرضًا.

ولأنّ بني آدم بين ارتقاءً ودونيَّة؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

ولذلك فالعمل الصّالح ارتقاءً لا يكون إلّا وفق أهداف قابلة للإنجاز وأغراض قابلة للتحقّق وعملًا منتجًا ومتقنًا ومبدعًا ومرسّخًا لقيمة الإنسان، وفي المقابل العمل الفاسد والأغراض الفاسدة، لا تكون إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة؛ ومن ثمّ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤوليَّة ارتقاءً، ستظل قيمًا في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُّفليَّة والدّونيَّة التي تتمركز على الأنا.

ولهذا فالارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا عدلًا وعملًا وعفوًا وصفحًا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلمًا وإهمالًا وتشدّدًا وتطرّفًا، ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاءً، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة.

وعليه:

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم غرضًا وغايةً وأملًا؛ فمن يعمل صالحًا يقترب منها، ومن يعمل باطلًا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه رغبة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاءً.

فبنو آدم خُلقوا على الاختلاف، وسيظلون به مختلفين، حتى أهل الوطن الواحد والدّين الواحد واللغة والثقافة الواحدة هم مختلفون في قدراتهم ومواهبهم واستعداداتهم وميولهم واتجاهاتهم؛ ولهذا فهم مختلفون في أغراضهم، ومع ذلك فالاختلاف بينهم لا يلغيه التماثل والتشابه، بل التماثل والتشابه بين بني آدم يؤكّد وجود الاختلاف بلا لبس ولا غموض.

ولأنّه الاختلاف فهو المحفّز على البقاء تنوّعًا، وهو المحفّز على التغيير الممكّن من التّعاون والنّهوض ارتقاءً؛ فبنو آدم ارتقاءً يعلمون أنّهم لم يجدوا أنفسهم خَلقًا، بل خَلقَهم من هو أعظم منهم؛ فهم يعلمون أنّهم قبل الخَلق لم يكونوا شيئًا يُذكر، ثمّ أصبحوا شيئًا مذكورًا؛ فهم يعلمون أنّ مشيئة من ورائهم هي التي أرادت لهم خَلقا، ولهذا فهم يدركون أنّهم قبل الخَلق لم يبلغوا مستوى الوجود الصّفري قيمة، ولكن مشيئة الخالق شاءت لهم أن يكونوا

شئيًا؛ فكانوا شيئًا وفي أحسن تقويم: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}[13].

ولأنّ بني آدم بين الارتقاء والدّونيَّة؛ فهم مختلفون هدفًا وغرضًا وغايةً، ولهذا فهم بين معرفة وعلم يؤدّيان بهم إلى النّهوض قمّة، وبين جهل يؤدّي بهم إلى الانحدار والدّونيَّة.

ومع أنَّ القاعدة المنطقيَّة ترى: أنَّ الارتقاء أساس الخَلق البشري، ولكن الاستثناء يرى: كفّة الانحدار تكاد أن تتعادل مع كفّة الارتقاء، وهنا تكمن العلّة؛ إذ قلّة الجهد المبذول من قِبل من يأمل ارتقاءً، في مقابل الجهد المبذول من قِبل من تشدّه السُفلية، وهذا الأمر يشير إلى أنّ زمن الصّراع سيطول بين من غرضه رتق الأرض بالسّموات، ومن غرضه مخالف لذلك.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف متسولين.

13 مريم 67.

بلوغ الغايات:

مع أنَّ معظم النَّاس لا يرون من بعد الغاية شيء، فإنَّنا نرى غير ذلك؛ ذلك لأنَّ الغاية لم تكن نهاية المطاف، بل هناك ما هو أعظم، إنَّه المأمول المراد نيله والفوز به.

ولهذا فالغاية هي ذلك الشيء البعيد الممكِّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملًا وجهدًا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصِّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنّها تُبلغ فإنَّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدفًا مشاهدًا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول والصُّدور، والتي في الغالب لا يُعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضَّامر وضميره، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لا بدَّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوَّلًا بأوّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمَّا أغراض الباحث وغاياته فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلّا الله أو من أخبرهم بها.

ولأنّها الغاية فهي لا تدرك إلّا ممن يعلمها سرًّا وجهرًا، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق، فمعرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن، فلا تدرك إلّا من خارجها (مِن قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خَلق ويخلق وسيخلق، قال تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[14].

يفهم من هذه الآية: أنَّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنَّ صفة الخالق هي الخَلق بلا انقطاع، فهو الذي خَلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأرضين)، وهو الذي خَلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}[15]وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

---

[14] الذاريات 47.

[15] الأنبياء 104.

فعلمًاء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون على الرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، فإنَّهم يتَفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلّا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمَّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنَّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلًا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائمًا تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبُّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من بلوغ الشيء ليكون من بعد بلوغه قابلًا لنيله أو قابلًا للنيل منه أو الفوز به شيئًا بعد أن كان مجرّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول، ولهذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِلُ أصحابها عملًا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟ أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضًا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

إذن: الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفيَّة بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذًا؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبًا وإشباعًا للرغبة أو الشّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّد وهي السّفر إلى دولة ما ولتكن ألمانيا، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانية). ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله وأن يعمل عليه، حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقًا للجهد المبذول موضوعيًّا.

ولهذا فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصّدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل المأمول جهدا مع قبول تحدّي الصِّعاب وصبر لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

وعليه:

. الغاية تُبلغ فلا تقنط.

. الغايات لا تبلغ إلّا تحدٍّ؛ فعليك بالتحدّي الذي يمكّنك منها تيسيرًا.

. الغاية مع أنَّها في النَّفس وتحت سيطرة العقل، فإنَّ الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدًا، ومع ذلك قوَّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه.

. بلوغ الغاية يُمكّن من تفحّص المأمول ونيله.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئًا، بل الغاية بلوغ الشّيء؛ ليكون من بعد بلوغه عملًا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرًا.

. الغاية تُمكّن من بلوغ الشيء، ولكنّها لم تكن هي الشيء في ذاته، فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

ومن ثمّ فمن يرد أن يبلغ الغايات العظيمة فعليه أن يجعل غاياته درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الأوّلى؛ ولذا فلا ينبغي لأحد من بني آدم أن يغفل ويضع قدميه معا على درجة من درجات السّلم حتى لا تنكسر

بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدّنيا حطاما؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاءً.

إذن: بلوغ الغايات يستوجب:

. تخمين مع حُسن تدبّر.

. وعي بالمأمول.

. إمكانية بلوغ المأمول.

. قبول تحدّي الصِّعاب.

. صبر لا إحباط من بعده.

. ثِقة لا شكّ يراودها.

. يقين لا حياد عنه.

. صمود، وإن كانت الصِّعاب تصاحبه مؤقّتا.

. ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها.

. عمل مؤسّس على التفهّم والتبيّن حيث لا غموض.

. اعمل وأنت تفكّر في كيفية توليد الغاية من الغاية.

ولذا فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنَّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا غايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة فلا بدَّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام.

ولأجل ذلك: ينبغي للإنسان أن يكون له غايات قابلة للبلوغ، وينبغي له أن يكون من وراء الغايات التي تمّ بلوغها غايات أعظم من تلك التي قد بُلغت وحقّقت الاطمئنان لآمليها.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزلٍ عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة، حيث لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة وهنا يكمن الوهن والضعف، ولا تتحقّق الغايات التي بنى البعض عليها آماله وهمًا وتخيلًا.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة قوّة ورفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

ولذا فكلّما أنُجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهميَّة، فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً، أي كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاءً وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا لأهداف تنجز رغبة، وأغراض تتحقّق عن إرادة، وغايات يتمّ بلوغها عن قوَّة، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين قوَّة.

وعليه:

فالغايات هي حيويّة الدّوافع، ومثيرة الحوافز النفسيَّة والذهنيَّة والعاطفيَّة بقوَّة الرّغبة والأمل تجاه ما يمكن أن يبلغ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، والإنسان بلا غايات هو بلا آمال، ومن ثمّ فلن يكون في عصره من بين صنّاع المستقبل ومحدثي النُّقلة[16].

16 عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 105 . 113.

نيل المأمول:

نيل المأمول ليس بغاية كما يتراء للبعض، بل هو أملٌ والواعون يسعون إلى نيله، ونيل المأمول لا يكون إلَّا بجهود تُبذل، وبحوث تُجرى، وخطط تُرسم، وهذه لا تكون إلَّا وفقًا لأهداف قابلة للإنجاز، وأغراض قابلة للتحقق، وغايات قابلة للبلوغ، وآمال يتمّ نيلها.

ولأنَّ المأمول يُنال، فإنَّ نيل كل مأمول يُحفِّز على نيل مأمول أهم وأعظم، ولهذا كما تتعدّد الأهداف، وتتعدّد الأغراض، وتتعدّد الغايات، فكذلك المأمولات تتعدّد.

وعليه: كما أنَّه وراء كل بحث باحث، فكذلك وراء كل بحث مأمول، وإلَّا من أجل ماذا تجرى البحوث لو لم يكن من وراء تلك الجهود المبذولة مأمول مترتّب عليها، وهو الذي يشدُّ الباحث ويجذبه إليه جذبًا.

والعلاقة بين المأمول والباحث لا يمكن أن تكون علاقة مباشرة؛ ذلك لأنَّه لا مأمول إلَّا وتسبقه غاية، ولا غاية إلَّا ويسبقها غرضٌ، ولا غرض إلَّا والأهداف تسبقه، وهذا يعني: إذا أراد الباحث أن ينال مأموله أو يظفر به ويفوز، فعليه بإنجاز أهداف بحثه أوَّلًا بأوَّل ودون تسرُّع.

ولذا فالمأمولُ هو: المفعول المراد بلوغه ونيله، وهو الذي يتحقّق ببذل الجهد، والإقدام على العمل تحدٍّ للصِّعاب.

ومن ثمَّ فنيل المأمول تَمكُّنٌ مما كان مجرَّدَ أملٍ، بعد أن أصبح شاهدًا وماثلًا بين اليدين: (إنَّه العمل المنجز، والمكسب المتحقّق)؛ ولذلك فزمن نيل المأمول هو المتجاوز لزمن الانتظار الذي لا بدَّ منه أثناء العمل والاجتهاد والسّعي الحثيث تجاه الفوز بالمأمول، أي: إنَّه الزَّمن الذي طويت فيه صفحات الترقُّب أملًا.

وعليه: الأملُ اسمٌ، والمأمولُ مفعولٌ؛ وهذا يعني: أنَّ الاسم سيظل اسمًا مجرَّدًا، أمَّا المفعول فهو القابل للتدبُّر، والمتجسِّد في الفعل والعمل؛ ولهذا لا ينبغي للباحث العلمي أن يوهم نفسه بأملٍ لا يكون من ورائه مأمولٌ يشبع حاجة، ويرضي إرادة، ويحدث النُّقلة.

ومع أنَّ الأمل هو ذلك الشيء المضمر في الصدور أملًا، فإنَّ المأمول غير ذلك، إنَّه مشبع الحاجات المتنوّعة والمتغيّرة والمتطورة، أي: إنّه خارج الصدور؛ لأنَّه مشبع الحاجة من خارجها، فعلى سبيل المثال: السَّجين عادةً يأمل الحريَّة، ولكن سيظل الأمل معه سجينًا، هذا على مستوى الأمل، أمَّا على مستوى المأمول أن يفك قيد السَّجين ويخرج من زنزانته إلى الحياة متفاعلًا مع مستقبل جديدٍ، فيه تتغيَّر أحواله من سجينٍ مستهلكٍ إلى طليقٍ منتجٍ أو مبدعٍ.

ولذلك فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئًا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للباحثين الآملين مثل الوليد للآباء رعايةً وعنايةً، وحرصًا وعملًا جادًّا، تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من

أجل بلوغه، ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظٌ على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائمًا في حاجة لإخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول، والبحث عن نيل المأمولات لن يتوقَّف بحثًا علميًّا.

وعليه: فإنَّ زمن الأمل زمن الانتظار، أمَّا زمن المأمول فزمن الإشباع؛ ولهذا فالمأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه الفكر المنظّم والبحث والعمل الجادَّين؛ فالانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو، فإذا جعلنا المأمول منتظرًا فلا داعي للعمل؛ فهو المتوقّع الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والإستراتيجيات المؤدية إلى نيله.

ولأنَّ المأمول لم يكن المنتظر، فهو أيضًا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير، الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنّه الاعتماد على النَّفس، والإمكانات المتاحة، والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئًا ملموسًا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

. لمَ لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجًا وافرًا، فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسًا له لمواسم أكثر أملًا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد؛ فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنّسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحًا ومتميّزًا إن أراد أملًا أعظم في حياة أعظم.

والمأمول وإن صعب فنيله ممكن، شريطة القيام بالبحث والعمل الموجب، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدٍّ للفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصيَّة لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني: فقدان العزيمة (تصميمًا وإصرارًا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره، وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء، فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه، ومن لهم علاقة به؛ فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّيًا، فبلغ الفضاء غزوًا ومأمولا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

فالمأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) فإنَّه لا يكون إلّا خلقا، أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أن يكون مولود الفكرة؛ فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

والمأمول يتعدّد ويتنوّع وفقًا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثَّمن، وقد يكون المأمول خاصًّا وفقًا للحاجة والشَّهوة وهو كثيرٌ، وقد يكون عامًّا؛ كونه مأمولًا عظيمًا، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع؛ فرئاسة الدّولة مأمولة عند كثيرين، والمنافسة الحرّة وفقًا للدستور وَحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون الرَّئيس للبلد إلّا فائزًا واحدًا، ومع ذلك بعض النَّاس قد يحترم نتائج الدّستور، وبعضهم قد لا يحترمها؛ فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرهًا، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلّا كرهًا؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، فإنَّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، فإنَّ بلوغها والفوز بها لا يكون إلّا خاصًّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحدٌ على حساب آخر. وهنا لا مقارنة بين مكانة رئاسة الّدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيمًا ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[17].

ولهذا فالجنّة مأمولٌ ولم تكن أملًا؛ فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخَالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزًا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، فإنَّ نيله لا يتم إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازِي بها علاقة خاصّة.

أمّا إذا كان المأمول عامًّا والمطلب أيضًا عامًّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضًا: أنَّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبًا عامًا؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن، حتى يتحرر كما أملوه مأمولًا.

17 الأنعام: 135.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيًّا والنَّوايا فرديَّة؛ كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا يؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فرديَّة، وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجًّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذا المثال؟

أقول: الأمل تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادًا وتأهبًا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

أمَّا الآمل فهو المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

والمأمول القيام بالفريضة على أتمِّ وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ فإنّه يعدُّ عملًا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم (الجنة)؛ حيث النعيم الدّائم، أي: إنَّ المسلمين يميّزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم، وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد، وتختلف، وتنقطع، أمّا النعيم فلذَّةٌ دائمة لا تنقطِع، ولا يختلف عليها، ولا يتخالف، أي: إنَّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمَّا الدنيا ففيها النعم تتحوّل فضلات.

وهنا الفرق كبير بين النعيم لذّة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها، وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة.

وعليه فإنَّ المأمول المطلق هو الفوز بنعيم الجنَّة، أمَّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو المقصود في ذاته دون سواه؛ ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيًّا أم مطلقًا.

والمأمول لا يكون إلّا معلومًا، والقصد إليه ثابتٌ، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال؛ فساعة نيله وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقّعٍ على الرّغم من توقّعه.

الأملُ والمأمول في دائرة الممكن:

الممكن هو ما ليس بمستحيلٍ وإنْ كان صعبًا، ولهذا فإنَّ دائرة الممكن تحتوي على المتوقَّع وغير المتوقَّعِ سواء بما هو سالب أم بما هو موجب، ومع ذلك فلا مأمول إلَّا وفي نظري آمله موجبًا، حتى وإن كان له أثرًا سالبًا على الغير.

والأملُ والمأمول: لا يمكن أن يكونا إلَّا ممكنًا سواء أكان الممكن متوقّعًا أم غير متوقَّع، أي: إنَّهما ليسا بمستحيلين؛ ذلك لأنَّ المستحيل لا يتحقّق إلَّا إعجازًا من عند الله، أمَّا الممكن فميسّر التحقُّق لمن يعمل، وللتمييز أقول:

الممكن: هو الذي لا شك في حدوثه، أو ظهوره كلّما توافرت معطياته أو شروطه؛ ولهذا لا يعدُّ الممكن مستحيلًا، وبما أنَّه غير مستحيل إذن: بالضرورة سيقع وفقًا لما نتوقّع أو وفقًا لما لا نتوقَّع.

وتتكون دائرة الممكن من (المتوقّع وغير المتوقّع) التي تتساوى فيها فرص ظهور كل منهما وفقًا للفرض الصّفري بنسبة ثابتة قدرها (50%)[18].

وعليه: فالممكن هو ما ليس بمستحيل ولا معجز، ومع أنَّه المتوافر وجودًا فإنَّه يحتاج إلى بحّاث يبحثون عنه؛ كونه يمتد من كامنٍ إلى مشاهدٍ، وهو الذي يمتد في الماضي منجزًا، ويستمر مع الحاضر يُنجز، وينتظر مستقبلًا لينجز فيه، وهكذا يُكوِّن الممكن دائرة تحتوي المتوقَّع وغير المتوقَّع سالبًا وموجبًا، وسهلًا وصعبًا؛ ولهذا فالممكن لا شك في حدوثه أو ظهوره كلما توافرت معطياته أو شروطه، وبما أنَّه غير مستحيل، إذن: فبالضرورة سيقع وفقًا لما نتوقَّع، أو وفقًا لما لا نتوقَّع، وبما أنَّه ممكنٌ فهو من دون شك سيكون قابلًا للإنجاز أو التحقق أو البلوغ.

وعليه: لا امتداد، ولا حركة إلاّ في حدود الممكن؛ ولذلك يكون الممكن هو مجال الامتداد، ومجال الحركة والسُّكون في دائرة المكان والزمان، ولأنَّه ممكنٌ فهو متوقَّع الحدوث، وبعد حدوثه قد يكون مساويًا لما هو

18 عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم ومبادئ)، المصريَّة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019، ص 177.

متوقَّع، وقد يكون أكثر أو أقل، وعليه: فالممكن ضروري الحدوث، ولكن نسبة حدوثه احتماليَّة؛ مما جعلنا نفترض لها ثلاث احتمالات:

الاحتمال الأوَّل: يكون الممكن مساويًا للمتوقَّع.

الاحتمال الثاني: يكون الممكن أقل من المتوقَّع.

الاحتمال الثالث: يكون الممكن أكثر من المتوقَّع.

ولذا فما نشاهده أو نلاحظه ونحسُّ به أو نتذوَّقه أو نشمّه أو نسمعه هو الواقع في حدود الممكن؛ ولذلك يحدث الاختلاف في درجات تمييزنا لما يقع في مجال الممكن بالنسبة إلى مداركنا وقدراتنا وأحاسيسنا؛ فمنّا من يميّز بين الأشياء أكثر من بعضنا، وهذا يعني: أنَّ قدرة التمييز عند العض قد تكون أقل، وقد تكون متساوية.

وعندما نتحدث عن الممكن فلا ينبغي لنا الإغفال عن غير الممكن؛ إذ لا وجود لغير الممكن بالنسبة إلى الله تعالى: {وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[19]، أمَّا بالنسبة إلى البشر فهناك الممكن، وهناك غير الممكن، والممكن في نضج القدرة، وغير الممكن في قصورها؛ ولهذا قد يتوقَّع الباحث العلمي ما هو ممكن، ولكنَّه قد لا يستطيع تحقيقه؛ نتيجة قصور إرادته وقدرته.

19 البقرة: 117.

ولهذا يقع الممكن في الزّمان الحاضر والزّمان المستقبل، ولا يقع في الزّمان الماضي؛ ذلك لأنَّ الممكن هو افتراض قابل للتحقق، وليس افتراضًا محققًا، وهنا ينبغي على البحاث أن لا يقعوا في الفخ؛ فالمتحقق هو الكائن أو الكائنة، أمَّا الممكن فهو الذي لم يكن بعد، ولكنَّه سيتحقق في الآن، أو في المستقبل؛ ولهذا يكون الفرق واضحًا بين المتحقق ككائن، والممكن الذي سيتحقق.

وعليه: يمكننا الآن الحوار مع السُّؤال الذي طُرح منذ زمن بعيد في الفكر الفلسفي وهو: ما هو الأسبق في الوجود: الممكن أم الواقعي؟ وأجاب أرسطو عن ذلك بأنَّ الواقعي أسبق في الوجود من الممكن معللًا ذلك بقوله: (إن الممكن يحتاج كي يوجد إلى واقعي يسبقه).

وعليه: من هذه النّاحية نعم لولا وجود مصدر للأمر ما كان للأمر وجود أوَّل، ولكن من ناحية أخرى فالأمر السَّابق غير مطلق؛ مما يجعلنا نقول: لا يمكن أن توجد الأشياء ما لم تكن ممكنة؛ فالله سابق الوجود على الممكن، وكل ما تحقق من بعده وما سيتحقق هو الممكن بالنّسبة إليه، والبشر كمحقق من هذا الممكن عندما يسعون إلى تحقيق ما هو ممكن من ناحية عقليَّة، يكون الممكن في هذه الحالة سابقًا على المتحقّق ذهنيًّا أو إدراكيًّا، وهكذا يكون حال الممكن الإلهي الذي لم يُحقق بعد (لم يخلق) للمشاهدة والإدراك العقلي، بمعنى عندما يصدر الله أمرًا وهو الممكن لا بدَّ وأن يتحقق في الوقت المحدد له، وفي هذه الحالة يكون الممكن سابقًا على

المحقق، ومن ثمَّ يصبح الممكن قرارًا معطياته مثبتة للتحقق، والتحقق فعلُ تنفيذ الممكن وهو الكائن أو الكائنة، والبشر لا يحققون إلَّا الممكن، أمَّا الله فيحقق الممكن والمستحيل والمعجز، فسبحان الله العظيم.

والمتوقَّع هو الذي (بحدوثه، أو ظهوره، أو وجوده لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب).

ولهذا فمعطيات حدوثه أو ظهوره متوافرة بين أيدي الباحثين، ما يجعل صحة إثباته (هو كما هو) وعليه: إذا ما وقع لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب. والمتوقّع يمكن أن يكون سالبًا، ويمكن أن يكون موجبًا وفقا للآتي:

الموجب المتوقّع: كلّ قول وفعل وسلوك وعمل يترك أثرًا مرضيًا في نفس الأنا والآخر، والذين لا يأخذون حذرهم يقعون في هذا المربّع؛ ولذلك خططهم ترسم على موجب متوقّع، وكأن الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأن العلائق بين النَّاس لا تبنى إلّا على الصّدق؛ ولذلك هم يفاجؤون.

أمّا السَّالب المتوقّع: فهو كلّ قول وفعل وسلوك وعمل يترك أثرًا موجعًا في نفس الأنا والآخر؛ من مظالم وعدوان، وخروج عن القيم الحميدة والفضائل الخيّرة، والحذرون هم الذين يقعون في هذا المربع، ومع أنَّهم يتوقّعون وجود سالب ويعملون على تفاديه فإنّهم يقعون في الفخ.

غير المتوقَّع: إنَّه الذي لا تتوافر معطيات أو شروط حدوثه أو ظهوره بين أيدي البحاث، ومع ذلك يقع، مما يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن؛ ولهذا إذا ما وقع تقع المفاجأة أو الاستغراب.

ولذا، يقع (غير المتوقّع) أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السابقة على وقوعه، ما يجعله يقع (كما هو) إثباتًا.

ولهذا: ينبغي أن يتم التعرف على غير المتوقّع، وعلى علله ومسبباته لاحقًا؛ ليتم التعرف على نقاط الغفلة أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المسبق.

وعليه: فالأمل حيويّة بشريَّة تنبعث طاقة في الفكر المتأمّل أحواله، وما يدور مِن حوله، وما يجب أن يقدم عليه تجاه ما يتعلّق به من أمر، وهو لا يكون إلّا في دائرة الممكن[20].

أمّا المستحيل فهو ما ليس بيد البشر، وغير ممكن الحدوث على أيديهم؛ فلا يُفعل من قِبلهم، ولا إمكانيَّة لبلوغه، ولكن لو لم يكن ما كنّا، ولأنّه كائن؛ فلا إمكانيَّة لتجاوزه، ولا إمكانيَّة للقفز عليه وكأنّه لا وجود، إنّه الحائل بين الممكن النّسبي (كلّ ما هو بيد المخلوق) والممكن المطلق الذي لا وجود للصّفر فيه، وهو لا يكون إلّا بيد الخالق.

20 المرجع السابق، ص 220.

فالمستحيل لا يكون إلّا حيث لا تكون الإمكانيَّة، وهو ليس بالصّعب؛ فالصّعب هو تلك الأعمال التي تستوجب مزيدًا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ وهي التي تواجه من يأمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرًا ومزيدًا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف، أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، فلا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب؛ كي تتيسّر الأمور ارتقاءً؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاءً، لا بدّ أن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي لنا تحدّي الصّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاءً، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمِن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما على الرّغم من الصّعاب.

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر والأمل لا يفارقه، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه أملًا؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ولذا فالصَّعب يمكن بلوغه في دائرة الممكن غير المتوقّع، أمّا المستحيل فلا إمكانيَّة؛ حيث وجود الصّفر بداية ونهاية.

ولأنَّ المستحيل لا يُوجِدُ نفسه ولا يخلقها، إذن فالخالق من ورائه، وهو القوّة التي لا تكون إلّا بيد القوي، الذي لا يُفعل المستحيل إلّا بأمره. ومع ذلك فالمستحيل أمر في ذاته؛ حيث يقف المخلوق عند حدّ لا يدرك من بعده شيء سوى الوجود، الذي لا يكون إلّا بفعل الفاعل الذي جعله وجودًا؛ فالفاعل لو لم تكن بيده القوّة المطلقة ما كان المستحيل فعلًا مستحيلًا.

ولهذا فلا مجال لأملٍ إلّا في دائرة الممكن، ولا إمكانيَّة لنيل مأمولٍ إلّا فيها، وهذه ما دون المستحيل والمعجز، حتى وإن كان المأمول المتحقّق نيله خارقة من الخوارق؛ فالخوارق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، أي: إنَّ الخوارقَ هي ولّادة ما لم يكن بالحسبان، وبها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدّي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذّهنية ذات الرّؤية الثاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها، وعلى الكيفيَّة التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا.

فالخوارق تُصنع وتُبدع؛ كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقًا (تجاوز المألوف) وأظهر ما كان مجهولًا، أو مختفيًا لحيّز المشاهدة والملاحظة فيضيف جديدًا غير متوقّع لميادين المعرفة الواسعة؛ فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن فهي ستتولّد خارقة ومن

بعدها خوارق، وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجآت التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة.

والخوارق تُصنع؛ لأنّها تأتي عن غير قاعدة مألوفة، وعن غير معتاد ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها، وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمّا الصّنع فهو إظهار ما لم يكن ظاهرًا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودا، أو إظهار الشيء الظاهر على غير ظهوره إبداعا، أو استخراج الشيء من الشيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصّنع أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ الإتيان به، وهو نتاج التفكير المفتوح؛ إذ لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه، أمّا الخارقة فهي بلوغ ما لم يكن متوقّعًا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي: إنّها الممكِّنة، ولكنّها غير عامّة؛ فهي تحتاج إلى مقدرة عقلية تتجاوز ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه؛ كونه لم يكن مستحيلًا ولا معجزًا. والخارقة تقود أصحابها فكرًا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربًا مع أنّ أمله غير ذلك؛ كونه قد صاغ له تساؤلات، وإن كانت بالنسبة إليه على غير عادة.

وعليه: فالإنسان مؤهّل للارتقاء أملًا وحسًّا؛ فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلًا راقيًا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ولأنَّ صُنع الخوارق لم يكن مستحيلًا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدّيًا للعقل بملكاته العقليَّة؟ فالعقل دائمًا مَكمن الخوارق، فمن بلغ عقله عقلًا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازًا، ومن بقي في دائرة المتوقّع فلا إمكانية لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن غير المتوقّع.

ومن ثمّ كان المستحيل كونًا متّسعًا ومتسارعًا في تمدّده، وكان الأمل يلاحقه بغاية معرفته مأمولًا، ومع ذلك لا زال قاصرًا عن معرفته على الرّغم من الأمل العريض.

فالكون لو لم يكن عملًا مستحيلًا ما كان انفجاره أو فتقه عظيما، ومع أنَّ المستحيل شيء يتحقّق، لكنّه لا يوصف بشيء، أي: لو لم يكن المستحيل شيئًا ما تحدّثنا عنه، ولأنّه شيء ونتحدث عنه فهو يشغلنا حيرة تدفعنا تجاه معرفة مَن وراءه؛ فنحن نقف عاجزين أمام توصيف المستحيل الذي مهما تدبّرنا أمره؛ فليس لنا إلّا التسليم، الذي يقرّ بوجود واجد له، ولا يكون إلّا أعظم منه؛ ومن ثمّ؛ فلا يوجد شيء، أو يخلق لو لم يكن من ورائه خالق.

ومن هنا افترق قليل من النَّاس مع معظم النَّاس؛ فالقليل منهم وقف عند معجزة المستحيل في ذاته، أمَّا معظم النَّاس فلا يؤمنون بعظمة المستحيل إلّا بعظمة فاعله المطلق الذي خلقه حائلًا لا يخترق مهما آمل الآملون.

ولأنَّ المستحيل نتاج طاقة وقوّة؛ فهو فعل يُفعل؛ فينتج عملًا قابلًا للملاحظة والمشاهدة، ولأنَّنا نقف أمام المستحيل عاجزين؛ فَلِمَ لا نقف أكثر عجزًا أمام الفعّال له؟

فعلماء الفيزياء اكتشفوا أنَّ الكون يتمدّد متسارعًا، وهم عاجزون عن إيقافه، بل هم عاجزون عن قياس سرعة تمدّده، كما أنّهم عاجزون عن معرفة نقط صفر النّهاية التي سيتوقّف عندها، ومع ذلك يرى بعضهم أنّ الكون يتمدّد متسارعًا، ولا شيء وراء تمدّده متسارعًا، أي: لا إله من ورائه، وكأنَّه تمدّد بلا غاية.

ومع ذلك أجمع علماء الفلك والفيزياء على أنَّ للكون نهاية، وليس له بدّ إلّا بلوغها، وهي الانكماش أو التجمّد أو الانفجار الذي ينهي تمدّده المتسارع ويقفه عند حدّه، أو يكون سببًا في إعادة تشكيله من جديد، أو كما نرى نحن إعادة رتقه مع الأكوان الأخرى التي سبق وأن فُتقت؛ لتعود إلى حالتها الطبيعية التي خُلقت عليها؛ عوضًا عن الحالة التي أصبحت عليها طِباقًا.

وبما أنَّ الفيزيائيين واثقون من نهاية الكون؛ فالسُّؤال:

من الذي وضع له نهاية؟ ثمّ كيف وضع الكون لنفسه حدًّا كما يظنون وهو لم يصل إليه بعد؟

أقول:

كلّ ما قيل في هذه الخصوصيَّة ليس بحكم علمي، بل مجرّد آراء لا تتعدَّى نظرات أصحابها الذين انبهروا بما رأوه من مستحيلات حتى ظنّوا أنّها الخَالق؛ وهم بهذه النظرة، كمن لا يميّز بين الخالق وما خَلق، ولكن وفقًا لقاعدة المستحيل المؤسّسة على خَلق الشَّيء من لا شيء؛ فلا شيء إلّا ومن ورائه مُشيء، وسيظل الأمر: كلّ شيء من ورائه مشيء، حتى بلوغ المستحيل الذي لم يكن من ورائه إلّا المستحيل الذي يؤدّي بالواعين إلى التّسليم، والذي لا يجعل لآمالهم فسحة إلّا فيما هو دون المستحيل والمعجز.

ومثلما يكون وراء كلّ شيءٍ شيءٌ كما هو حال بنو آدم الذين هم من نطفة، وآدم من تراب؛ فكذلك يكون وراء كلّ مستحيل يشاهد ويلاحظ مستحيلٌ لا يمكن مشاهدته ولا ملاحظته، مع أنَّه يُدرك استحالة؛ فالمستحيل كفعل يتحقّق عملًا؛ فهو: مثل خلق الكون، والحياة والموت والشّروق والغروب، أمّا المستحيل كذات فلا يتجسّد في شيء يمكن أن يكون من ورائه شيء آخر؛ فيصبح التسليم به إعجازًا حيث لا شكّ في وجوده، والمستحيلات تتحقّق بين أيدي النّاس في كلّ جزئية من الزّمان ، ولا أحد يستطيع إيقافها أو الحدّ منها وإن عظمت آماله؛ ولذا فمعرفة المستحيل تُمكّن من معرفة مستحيلات أعظم حتى بلوغ المستحيل مستحيلًا.

فالكون الذي قالوا عنه: خُلق من لا شيء ولا خالق من ورائه؛ فبقولهم هذا يعترفون بوجوده، والخالق من ورائه، وإلّا لماذا قالوا: (خُلق من لا شيء) فكلمة (خُلق) تعيد أمر الخلق للخالق، وليس للشيء المشار إليه بأنّه قد خُلق من لا شيء.

ولأنَّ وجود الكون شيءٌ مستحيلٌ؛ فلا شكّ أنَّ من ورائه ما هو أعظم استحالة، وهنا يكمن القصور بين إدراك المستحيل الأوَّل (الخالق) وما يراه المستحيل اللاحق (الإنسان) الذي خُلق مستحيلًا؛ فالإنسان مع أنَّه خُلق مستحيلًا، فإنَّه لا يخلق المستحيل؛ ولهذا فالقاعدة:

(مَن يَخلق المستحيل لا يُخلق).

ولأنَّ مَن يَخلق المستحيل لا يُخلق، والكون خَلق مستحيل؛ إذن: فالمستحيل (الكون) يُخلق وخالقه لا يُخلق؛ ولهذا كان خلق الكون مستحيلًا مثله مثل أيّ مستحيل.

والقاعدة الخلقية تقول:

(المستحيل قوّة تَخرِق ولا تُخرَق).

ولأنَّ المستحيل قوّة اختراق لكلّ قوّة وإن اجتمعت؛ فقوّة الكون تمدّدًا وتسارعًا ستقف وتنتهي انكماشًا أو انفجارًا عظيمًا، أو رتقا أعظم، وهذا يدلّ على وجود مسيّرٍ للمستحيل، وموقف له، أو مفجّر، أو راتق له؛

حيث لا استحالة أمام الفعل المستحيل. وهنا تقف الآمال عاجزة، ومن ثمّ ليس لها إلّا التسليم.

ولذا فالتوقّف عند المستحيل عن وعي، يُمكِّن مِن عدم الوقوف عنده نهاية؛ فالمستحيل فعل لا يتحقّق إلّا وفق مشيئة فاعله، وهو الذي ينبغي أن يدرك بمشاهدة وملاحظة مستحيلاته؛ حتى يدرك أنَّ إدراكه مشاهدة وملاحظة هو الاستحالة بعينها؛ ولذلك فالقاعدة الخَلقيّة تقول:

(المصوِّرُ المطلق يرى ولا يُرى).

وعليه؛ فلا إمكانيَّة لرؤية المصوِّر المطلق؛ كونه لا يُصوَّر؛ ولهذا فخالق الشيء لا يمكن أن يكون الشيء؛ ذلك لأنَّ الشيء يُخلق، والمشيء لا يُخلق.

ولأنَّ المشيء لا يمكن أن يكون شيئًا، إذن: فكيف للكون كونه شيئًا أن يكون مشيئًا لخَلق ذاته؟

هذا ما ارتأه بعض علماء الفيزياء الذين وقفوا على معجزات الخالق وكأنّها خالقة لنفسها، ومن لا شيء، وفي هذا الشَّأن وكأنَّهم يقولون: نحن خُلقنا شيئًا من لا شيء، في الوقت الذي هم فيه يعلمون أنَّهم قد خُلقوا من ترابٍ، وإلّا كيف يقبلون بخلقهم من تراب وهم يعلمون أنَّ أباهم آدم لم يخلق نفسه، وهو من تراب، أي: بما أنَّ آدم من تراب، ولم يكن ترابًا؛ فمن الذي خَلقه آدمَ؟

إنَّ هذه القاعدة تسري بالتّمام على خَلق الكون الذي قالوا عنه: إنَّه من ذلك الانفجار العظيم لتلك الذَّرة التي لم يقولوا عن خلقها شيئًا، وهي التي لو لم تُخلق ما كانت ذرة، وما انفجرت كونا عظيما كما يدّعون بلا دليل سوى وجود أثرٍ يشير إلى الانفجار، أو يشير إلى ما يشبه الانفجار، في الوقت الذي قال فيه الخالق تعالى غير ذلك: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[21].

وبناء على هذا القول تساءلنا:

أيّهما أولى: أن نأخذ بقول الخَالق، أم أن نأخذ بقول المخلوق؟ ومع ذلك قبلنا قول المخلوق لنأخذ بقول الخالق.

فالخالق الذي خَلق الكون، وكوّر فيه النّجوم والكواكب كما كوّر منه الأرض التي خُلق الإنسان الأوّل من ترابها عندما كانت مرتقة في السّماوات جنّة، قال: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}[22]، فكيف بمن لم يكن سابقًا على قوله تعالى، أن يقول: إنَّ الكون خَلق نفسه؟

وكيف أقنع نفسه بذلك مع أنَّ ما بلغه من معرفة لم يكن ولادة أمل حتى يكون بين أيدي النّاس دليلًا شاهدا في معامل ومختبرات البحث العلمي المتقدّمة؟

---

21 الأنبياء: 30.

22 الزّمر: 62.

وإذا سلَّم مَن سلَّم بهذا القول؛ فسيجد نفسه في مواجهة مع خلق نفسه التي لم يخلقها، وبتسليمه هذا ليس له بدّ إلّا الاعتراف بأنّه لا إمكانيَّة أن يخلق الشيء نفسه، أي: كيف لمن يعرف أنّه خُلق من نطفة أن يقول شيئا غيرها؟

ولأنَّ قاعدة الخلق تقول: (الشيء يُخلق ولا يَخلق).

إذن: فمن خُلق من نطفة ليس له بدّ إلّا استمداد قاعدة خلقه من شيء (تراب أو نطفة) ليستقرأ بها خلق الشيء الذي لا يمكن أن يخلق نفسه، إنَّها المسلّمة لمن يدرك أنّه لم يَخلق نفسه؛ لكونه يدرك خلقه من النطفة التي من قبلها يعلم أنّها لولا التزاوج ما كانت، وكذلك من قبلها يدرك أنّ أبويه (آدم وزوجه) لم يكونا من نطفة، وهنا تكمن العلّة التي قفز عنها بعض من علماء الفيزياء بقولهم: إنّ الكون خلق نفسه ولا خالق من ورائه.

ومع أنَّهم يؤمنون بخلق الأشياء، فإنّهم عندما وقفوا عند أكبرها (الكون)، قالوا: إنّه شيء، ولكنّه خالق، وهذا ما يتعارض مع قواعد الخَلق:

. هيئة الشيء تسبق الشيء وجودًا.

. وراء كلّ شيء مشيئة.

. وراء كلّ مخلوق خَالق.

. الخَالق يرى ما خَلق، والمخلوق لا يرى خَالقه.

ولذا فالكون لو لم يكن له مكوِّن ما كان كونًا، والخَلقُ لو لم يكن من ورائهم خالق ما خُلقوا، والعلم لو لم يكن من ورائه العالم ما عُلّم: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[23].

وعليه:

فالمستحيل فعل، والفعل لا يشاهد ولا يلاحظ إلّا إذا تجسّد في عملٍ؛ ولذلك فالمستحيل طاقة تُمكّن من إيجاد ما لم يسبق وجوده؛ ومن ثمّ فالمستحيل فعل أوجد كونًا متمدّدًا ومتسارعًا في تمدّده، ثمّ خُلق منه، وفيه ما خلق مستحيلًا، وكلّ ما خُلق استحالة لا يُخلق ممّن لا يتجاوز جهده دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وإنّ كان يأمل ذلك.

ولأنَّ الكون خُلق خَلقًا مستحيلًا؛ إذن: فلا إمكانيَّة لخلق كون مثله إلّا من الذي خَلقه مستحيلًا، ومن هنا، استقرأ علماء الفيزياء والفلك، وجود أكوان أخرى خارج كوننا المتمدّد تسارعا، ومع أنَّهم اكتشفوا معطيات تشير لذلك، فإنَّ ما هو أعظم: إنَّ الخالق قد أخبر عنها وضوحا، ويا ليتهم يطَّلِعوا على الكتاب؛ لعلّهم يرشدون إلى ما هو أعظم علمًا ومعرفةً: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}[24]؛ فقوله: (كيف خلق) هنا يكمن المستحيل؛ حيث لا إمكانيَّة لمعرفة الكيفيَّات التي بها

23 البقرة: 31.

24 نوح: 15.

خلقت الأكوان طِباقًا، ولأنّ معرفة (كيف؟) أمر مستحيل؛ فأخبرنا الخالق عن (الكيف) بقوله: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[25]، أي: بعد أن كان الكون ملتحما سماوات وأراضين، فُتق مستحيلًا إلى سبع سماوات وسبع أراضين، وبما أنَّنا نعلم بفتق الأكوان؛ فَلِمَ لا نبحث؛ حتى نكتشفها مستحيلًا بعد مستحيل.

ولذلك فالأرض لا تَخلق الأرض، والسّماء لا تَخلق السّماء، وعالم الفيزياء لم يلد نفسه ولم يخلقها، وحتى إن خُلق الشبيه بأيّ مفتاح من مفاتيح العلم، فلن يُخلق الشبيه البشري إلّا من خلية حيّة، وحتى إن خلق الشبيه فسيظل شبيهًا؛ ولذلك فقضية الخلق (الحياة) لن تكون إلّا بيد من بيده أمر الحياة.

ولأنَّ المستحيل لا يمكن أن يُدرك إلّا عندما يصبح شيئًا مفعولًا، إذن: فالمستحيل عندما يتجسّد في عمل يصبح مفعولًا شكلًا، أو صورةً، أو شيئًا مشاهدًا وملاحظًا، ولأنّه المفعول؛ فلا يكون إلّا بفعل الفاعل، ولأنَّه بفعل فاعل المستحيل فهو لم يَخلق نفسه، بل من ورائه خالق المستحيل الذي لم تتمكّن عقول بعض الفيزيائيين من التمييز بينه وبين فعله الإعجازي؛ فعقول بعضهم وقفت عند المستحيل وكأنّه الخالق، وهنا تكمن العلّة المعيقة للبعض من الارتقاء وإحداث النُّقلة؛ ولهذا وجب على الإنسان

25 الأنبياء: 30.

أن يأمل ويسعى عملًا جادا من أجل بلوغ المأمول العلمي، و نأمل له نيله، شريطة أن يكون نتاج تساؤلات وفروض علمية، بحيث يبرهن لنا تجربة يمكن تكرارها، ومشاهدة الحقائق البعيدة من خلالها قريبة.

ولذلك فالكون لو لم يكن مخلوقًا ما كان مستحيلًا، والاستحالة من أجل أن تُدرك ينبغي أن تلاحق، وتتابع استحالة بعد استحالة، وكأنَّها تتدرّج من الأصعب إلى الصّعب، فخَلق الكون وتسييره أكبر المستحيلات التي تمّ إدراكها عقلًا، ثمّ خَلق المشاهد في ظُلمة، فيها خُلقت الأرض كما خُلقت النّجوم والكواكب والمجرّات، ثمّ خلقت الأزواج من الأرض وهي مرتقة في السّماء، ثمّ من بعدها خُلق التكاثر تزاوجا، فكلّ هذه المخلوقات هي نتاج الفعل المستحيل؛ ولذلك فبمقارنة خلق الأزواج من الأرض وهو الأقرب لعقول البشر، نجد أنّ الخلق من لا شيء (خلق الكون) يبدو وكأنّه أصعب من خلق الأرض، وهكذا خَلق الأرض يبدو وكأنّه أصعب من خلق آدم وزوجه المخلوقين منها، وكذلك الخلق من التزاوج على الصّعوبة التي لا تقارن لو لم يكن هناك ما هو أعظم خلقًا منه.

ومع أنَّنا ندرك أنَّه لا صعوبة بالنِّسبة إلى الخَالق؛ كونه يخلق بأمره ما يشاء متى ما يشاء، وأينما يشاء، وكيفما يشاء، فإنَّه لتقريب المعنى وتوصيل المفهوم دلالة استمددنا مثالًا توضيحيًّا للمستحيل الذي لا يكون إلّا مخلوقًا ومفعولًا من خالق يَخلقه ويفعله؛ ولذلك فلا وجود للصّعب على من بيده

أمر الخلق استحالة، ولكنّ الصّعب يواجه من يحاول بجهده ومقدرته المحدودة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

فالمستحيل فعلٌ لا تواجهه الصّعوبة، بل الصّعوبة تواجه الممكن الذي لا يكون إلّا في حدود الجهد والإمكانات المتاحة؛ فالمستحيل لا علاقة له بالجهد، بل له علاقة بالفعل المطلق الذي لا يكون إلّا بيد من فعل المستحيل الذي به خُلق الكون تمدّدا وتسارعًا إلى النّهاية التي من بعدها ستؤول الأكوان كونًا مرتقًا.

ولذا فعندما تُرتق الأرضون والسّماوات يعود الكون كما خُلق أوَّل مرّة: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}[26]؛ فالوجود هكذا سيكون بين تمدّد وانكماش حتى النّهاية التي تعتدل فيها الأكوان على كرسي خلقها بلا استحالة.

فالمستحيل لا يكون بالعمل، بل المستحيل لا يكون إلّا بالفعلِ؛ ذلك لأنَّ العمل يتحقّق وفقًا لما يُبذل من جهد، وما ينجز منه، أمَّا الفعل فلا يتحقّق إلّا بفعل الفعّال، حيث لا حاجة للجهد (كن فيكون)، وعن غير مقارنة فأنا مثل غيري بنظرات عيني فقط أقول لأبنائي: اصمتوا، أو اجلسوا، أو اخرجوا؛ فما بالك بخالقي وخالق الكون وكلّ شيء مستحيل، ألا تكفي كلمة (كن)؟

26 الرّوم: 11.

وعليه:

فكلُّ ما لم يكن مستحيلًا ومعجزًا هو ممكن، وهنا تصنع الآمال ويولد أمل من بعد أمل، والفرق بين الممكن والمستحيل؛ هو أنَّ الممكن قابل للإثبات أو الاكتشاف، وهو في حاجة لمن يبرهن على معطيات وجوده، وهو قابل للإثبات مثلما هو قابل للنّفي والرّفض، وقابل للظّهور مثلما هو قابل للكمون، وقابلٌ لأن يكون أملًا من أجل مأمول.

ولهذا لو لم يكن الممكن ممكنًا ما تمَّ إثباته واكتشافه وظهوره وكمونه والشّكّ فيه، ومقارنته مع غيره، أو معرفة مدى ترابطه، أو ثباته، أو اهتزازه.

أمَّا المستحيل فهو المثبت الذي نعلم به ولا نعرف كيفيته إن لم يخبرنا عنها فاعله تعالى فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون بيوم البعث، ولكنّهم استحالة لا يعرفونه، ولا يعلمون ساعته؛ ولذلك فالخلائق تموت ولا أحد يستطيع إيقاف الموت عنها، والأحياء يخلقون ولا أحد يستطيع بث الحياة فيهم إن لم يولدوا أحياء، وهكذا الشّمس تشرق وتغرب، ولن يستطيع أحد تغيير أمرها أو تبديله.

ولأنَّ وجود المستحيل لا يُنفى، ولا يُلغى، ولا يُقدّم ولا يؤخّر؛ فهو متحقّق في زمن المفاجأة، فالصّواعق والزّلازل والبراكين لا بدّ وأن تحدث، ولكن ينبغي لنا أن نعمل ما من شأنه أن يقي عنها، وكذلك المرض آتٍ ولكن ينبغي أن نعمل ما من شأنه أن يقي عنه، ويشفي منه، والصّحة

تضعف، والعمل على تقويتها ضرورة ممكنة، والموت لا شكّ أنَّه آتٍ وإن أطلنا في أعمارنا وبلغنا عمر نوح عليه السّلام أو حتى تجاوزناه سنينَ، فكلّ ذلك ممكن علمًا وبحثًا ومعرفة، ولكن أن نلغي الحياة أو الموت حتى وإن دمّرنا ما يمكن لنا تدميره فلا إمكانيَّة، وهنا يكمن المستحيل، أي إنَّ أمر المستحيل بين يدي فاعله أمرا نافذا، فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السّبت فإنَّ يوم الأحد سيأتي غدا وفقا لِعِلمنا ومعرفتنا، ولكن يستحيل أن يحدث الانفجار العظيم ثانية، أو ينكمش الكون، أو أن يُرتق في لحظة المفاجأة، ولن يأتي الأحد غدا كما هو متوقّع، وهذا الأمل يسري على المأمول؛ إذ ليس كلّ الآمال تتحقق وإن كان المأمول قابلًا للنيل.

ذلك لأنَّ المستحيل هو فعل يُفعل بغتة (في زمن المفاجأة)، وهو الذي يحتوي دائرة الممكن، والممكن لا يحتويه؛ فالممكن لا يكون إلّا وفقًا للاستطاعة، ولا يتحقّق إلّا على أيدينا، أمَّا المستحيل فهو ما لا تستطيع قوّتنا فعله، ولا أيدنا عمله، ولا عقولنا إدراكه ومعرفة كيفيّته، ومع ذلك فمن الضّرورة التفكير فيه بعمق ودون ملل؛ فالملل يحول بين الحقيقة والباحثين عنها.

ولذا ينبغي على البحاث إن أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ فالبحاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلميَّة لن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل إنَّهم يتمكّنون فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة

المتوفّرة لديهم؛ فالفروض وأن عظمت نتائجها لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

ولذلك وجب تقدير الشّطحات العلميَّة؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل فالشّطحات عندما تكون موضوعية تمكّن من معرفته، وإن قصرت عن معرفة الكيفيَّة التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعية فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي للإنسان أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ومن هنا فلا ينبغي أن تكون المناهج تدبّرية مقتصرة على الوقت الحاضر، بل ينبغي أن تكون تطلّعية، تستوعب الحاضر تدبّرًا ولا تقتصر عليه؛ فالتدبّر لا يكون إلّا وفق الإمكانات المتاحة في الوقت الحاضر، أمَّا التطلّع فهو البحث عمَّا يُحدث النُّقلة إلى ما هو أفضل وأكثر ارتقاءً.

ولذلك فالتّطلع يُمكّن الآمل من مأموله كما يمكّنه من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاءً، ومن ثمّ إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة، فلا ينبغي أن توضع إشارة قِفْ أمام التفكير العلمي لبني آدم، بل ينبغي أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملًا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدًا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع، أي: ينبغي أن نفكّر

في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلًا؛ ولذا فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ وجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنَّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي لنا أن نأمل ونعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزًا، وحينها ندرك أنَّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة حيث كلّ شيء ممكن حتى وإن كان صعبًا غير متوقّعٍ.

ولأنَّه المستحيل فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة ونيل المأمول هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفليَّة التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني، {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[27].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكُّرًا وتدبُّرًا وتفكُّرًا؛ فهما بيد الإنسان رغبة واختيارًا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن يأملوا ويعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

وعليه:

27 الكهف: 88.

فالفعل المستحيل لا يكون إلّا خَلقًا، ولأنَّه كذلك فلا يكون إلّا إعجازًا، حيث لا إمكانيَّة لخلق الشيء شيئا إلّا بمشيء، وحتى إن عُدنا لذلك التّساؤل الذي كنّا نطرحه على أنفسنا أيّام المراهقة والثانويَّة، وهو:

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلق؟

أقول:

بما أنَّنا نقول الخالق، إذن فلا ينبغي لنا أن نسأل عمَّن خَلق الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول: الخَالق، ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟ إنَّه الخالق الذي يخلق ولا يُخلق، ومن ثمّ فكلّ شيء يُخلق ليس بالخالق؛ ولذا فلا فواصل بين الخالق وخَلقه، فالخالق ليس على الصّورة ليكون موجودًا قبل أن يخلق الخلائق؛ ولذلك فالسُّؤال ليس في محلّه؛ لأنَّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة؛ حيث لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل، والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في نفسه، وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على هيئة الصّورة، وبالتَّالي فمن يتصوّر لله هيئة، يجعله وكأنَّه داخل الإحاطة، ومن يفكّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد عن كونه تفكير كتكوت داخل البيضة، والذي لا إمكانيَّة له في رؤية عالم أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك فهيئة الله بلا هيئة، وصورة الله بلا صورة، ومن هنا فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمَّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم الله لم يكن، حتى نسأل عنه كيف كان، فمثل هذا السُّؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان، كما هو حال الكون الذي كما يقولون عنه: كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سببا، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خُلقت منها الأزواج سببًا، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ومن هنا فلا ينبغي أن يكون السُّؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السُّؤال: من هو الله؟ وما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائنًا، حتى يسأل عنه كيف كان؛ ولذلك فالكائن لا يكون إلّا على هيئة يراد له أن يكون عليها فيكون؛ ومن ثمَّ فأيّ كائنٍ لا يكون إلّا على هيئته ووفق مشيئة ليست بيده، ومن هنا فنحن ندرك الكون علمًا، ولكنَّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟ أي: كيف لنا بهذا ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكّن بعد من الخروج عنه بأيّ سبب، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر الكون؛ لكوننا جزءًا فيه أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمَّا الخالق فهو على غير هيئة؛ كونه على غير صورة، وبالتَّالي لا إمكانيَّة لوضعه في أيِّ هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السُّؤال: كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا فالسُّؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه، بل له علاقة بالسّائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنَّه من نطفة، ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان الله؟

أي: ألا يكفي إجابة علمه أنَّهُ قاصرٌ عن معرفة كيفيّة خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف؛ لعلّك تعرف: كيف خُلق؟ وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق؟ ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك؛ لعلك تعرف: كيف خُلقت؟ وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق؟ ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل، فإن فعلت ذلك عن وعي، لا شكّ إنّك ستدرك أنّ صفات الله تتعدد بتعدد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدّد.

المأمول وليد الأمل:

إنَّ مفهوم المأمول وليد الأمل يعني: لو لم يكن الأمل ما كان المأمول، أي لو لم يكن الأمل سابق، ما كان المأمول لاحق؛ ولهذا فمَن لا أمل له لن يبلغ مأمولًا، ومن هنا علينا أن نفرِّق بين الأمل والحُلم والأماني؛ ذلك أنَّ الأحلام والأماني تبقى مجرد أحلامًا وأمانيًا؛ كونها فاقدة لمعطيات التحقّق التي يختص بها الأمل. أي إنَّ الأمل لا يكون إلَّا عن تصميم وعمل ومعرفة ودراية، وفي المقابل الأحلام والأماني مجرَّدة المفهوم ومقتصره عليه؛ حيث لا عمل ولا خطط تُرسم، ولا أهداف تنجز، ولا أغراض تتحقّق، ولا غايات تُبلغ، ولا مأمولات تُنال.

وعليه فإنَّ توليد المأمول من الأمل هو: توليد الشّيء من الشّيء، وهذه من مهام البحَّاث الذين يسعون أملًا لإنجاز أهداف بحوثهم بغاية نيل المأمولات؛ إذ يعدُّ الشيء وجودًا ماثلًا يستوجب التعرُّف عليه بعد تفحُّصه وكشف أسراره وخفاياه، والشّيء هنا، قد يكون: مفهومًا، وقد يكون دلالة ومعنى، ما يجعله خاضعًا للملاحظة والمشاهدة المصنَّفة.

ولأنَّه الشَّيء فهو المتكوِّن من المركَّب القابل للتعدّد والتنوّع، الذي منه تولَّد أشياء جديدة لم تكن ذات الشيء الذي أخذت منه أو صنعت.

ولهذا نقول: الشّيء دلالة وجوديَّة تشير إلى المشاهد والملاحظ والمدرَك، ويعد الشّيء نكرة حتى يصنّف، ولا يكون شيئًا إلّا بفعل المشيء.

وهو لا يكون البداية، ولا ساعتها، ولا كيفيَّتها، فمثله مثل اللاشيء؛ إذ لا شيء إلّا من مشيء؛ ولذلك فالكون لو لم تكن من ورائه مشيئة ما كان شيئًا.

ولأنَّ الكينونة هيئة خلقيَّة؛ فهي كما تسبق خَلق اللاشيء، تسبق خّلق الشيء، ولا شكل ولا صورة للأشياء إلّا بعد أن يهيئها الخالق في علمه؛ لتكون أشياء مفعولة؛ ومن ثمّ فلا شيء إلّا والمشيء سابق عليه، ولا شيء إلّا على كينونة (هيئة) يرتضيها المشيء.

ولأنَّه لا شيء إلّا على هيئة؛ فكيف تهيأ الشيء كونًا قبل أن يكون شيئًا من لا شيءٍ؟

أقول: التهيؤ لا يكون إلّا عن علمٍ وإبداع، وهذه لم تكن من مكوّنات الشيء، بل من مسبَّبات وجوده، فلو لم تكن سابقة عليه، ما تهيَّأ الشّيء شيئًا، ومع ذلك علينا أن نميّز بين: (هيئة، ومهيئ، ومتهيء):

ــ الهيئة: صورةُ ما يكون عليه الشّيء قبل أن يكون شيئًا.

ــ المهيئ: هو مَن يعلم أمر الهيئة ويجعل لها صورة قبل أنْ تصير شيئًا مفعولًا.

ـ المتهيئ: هو اللاشيء (طينة التخلّق) التي منها يُخلق الشيء، وبها يُميّز حتى يصبح على الشّكل والصّورة[28].

وعليه: فقاعدة خلق الشيء: (لا شيء إلّا على مشيئة، ولا مشيئة إلّا مِن مشيء). {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}[29]. {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[30]، فهذه مِن مشيئة الخالق الذي يعلم ما لا نعلم.

أمَّا مشيئتنا التي هي من مشيئة الخالق خلقًا فلا إمكانيَّة لها أن تعمل ما تشاء إلَّا في مشيئة الله تعالى، ولكن لأنَّ مشيئة خلقنا جعلتنا على التّسيير والتّخيير، فكانت مشيئة بعضنا طاعة، وكانت مشيئة بعضنا عصيانًا؛ ولهذا فلكلِّ آملٍ منَّا في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع نتاج ما يأمله.

ولأنَّ الإنسان خُلق في أحسن تقويم والتخيير فسحته؛ فبإمكانه أن يولِّد من آمالهِ مأمولاتٍ عظام، ولكنَّها قد تكون ضارة، بل وناسفة لوجوده ولآمال غيره.

---

28 من معجزات الكون (الخلق النشوء الارتقاء)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة: 2017، ص 45.

29 البقرة: 105.

30 هود: 118 . 119.

ولذا فقد عرفنا من خلال ما تقدَّم أنَّ الأمل ليس بمأمولٍ، وكذلك عرفنا العلاقة الواضحة بين المأمول والأمل؛ إذ لا مأمول إلَّا والأمل سابق له، وعرفنا أيضًا أنَّ من يقصر رغبته على أملٍ مجرَّدٍ فلن ينال شيئًا سوى إضاعة الوقت؛ حيث لا جهد يبذل.

ولهذا يعود توليد الأمل من المأمول إلى تلك العلاقة التي عندما تتوَّج بفوزٍ مرغوبٍ وفقًا لخطة رُسمت، تجعل المأمول مفعولًا بين اليدين، ومن بعده يلد أملًا جديدًا يفتح فسحة أمام إنجاز مأمولٍ جديد.

وعليه: فإنَّ توليد الأمل هو توليد الشيء من الشيء، فمن المفيد أن تنظر إلى أولئك الذين سبقوك أملًا وارتقاءً، ومن المفيد أن تطّلع على تجارب الآخرين، ومن المفيد أن تشترك مع الغير في توليد الآمال المتجدّدة والمتطوِّرة، ومن المفيد أن تسأل أصحاب الحكمة، ومن المفيد ألّا تستقر على روتينٍ قد تجاوزه الزّمن، ومن المفيد أن تتطلّع لأيّ شيء مفيد؛ لعلَّك تستفيد، وتتمكَّن من توليد أملٍ من مأمول.

ولأنَّ توليد الأمل هو توليد الشيء من الشيء، إذن: فلا استحالة، وبخاصّة عندما تكون الأشياء وفرة، ولِمَ لا تصنع من الشجرة بابًا؟ ولِمَ لا تصنع من القطن ملبسًا؟ ولِمَ لا تفكّر فيما تفكّر فيه قبل قوله؟ ولِمَ لا تقيّم نفسك عند كلّ قصور؟ ولِمَ لا تفكّر في تطوير أساليب العمل الذي جعل منك روتينًا ولا تجديد؟ ولِمَ لا تتحدّى نفسك قبل أن يتحدّاك الغير؟ وعليك أن تعرف أنَّ كلّ شيء يتجّدد ويتطوّر ويتولّد فلا تغفل أكثر ممّا

غفلته، وعليك أن تنظر إلى الكون وكيف يتمدّد ويتَّسع ويتسارع توليدًا؛ فقد خلق الله تعالى الكون والأرض لم تكن إلّا جزءًا منه، وأنبت آدم وزوجه من الأرض نباتًا (توليدًا).

ولذلك فتوليد الشيء من الشيء بين نشوء وصنعة؛ فالشيء لا يكون إلّا خلقًا، أمَّا توليد الشيء من الشيء فلا يكون إلّا نشوء، وكل هذا بيد الله تعالى، أمَّا الذي بين يدينا فإن عملنا استطعنا أن نولّد من الشيء شيئًا.

ولأنّ النّشوء لا يكون إلّا من شيءٍ، كانت الأرض وكان نشوؤنا منها، ولو لم يكن اللاشيء، ما كانت الأرض شيئا منه، ولو لم يكن الانفجار العظيم ما كان اللاشيء شيئا، ولو لم تكن تلك الذّرة، ما كان ذلك الانفجار العظيم، ولو لم يكن الخالق ما خُلق شيء، قال تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[31].

ومع أنَّ الله خلق كلّ شيء وهو الخلّاق لما يشاء، متى ما يشاء، كيفما يشاء، وأينما يشاء، ولكنَّ البشر لا يعلمون كلّ ما خُلق؛ فهناك ما يعلمونه خبرا، وهناك ما يأخذونه أمرا ونهيا، وهناك ما يدركونه عقلا، وهناك ما يرونه مشاهدة؛ فالبشر كما يسلّمون يقينًا بما يعلمونه؛ فهم يؤمنون يقينًا غيبيًّا بما يجهلونه؛ فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون

31 المائدة 17.

بالسّاعة، ولكنَّهم يجهلون ساعتها، ويعلمون بالنّعيم ويجهلون نعمه، ويعلمون أنَّ السّماوات والأرض كانتا رتقا، ويجهلون كيفية فتقها.

ومع أنَّ النّشوء مترتّب وجودا على ما خلق، فإنّه لا يكون إلّا وفقًا للمشيئة، التي هي دائمًا سابقة على الشيء، أي: لا شيء ينشأ ويُخلق إلّا من مشيئة الخالق. ومشيئة المشيء إرادة خَلقية، خَلقت تلك الذّرة وفجّرتها خلقا آخر؛ ولذلك فَخَلق الشيء من الشيء، وجَعلهِ على الهيئة والصّفة يعد نشوءًا من مشيئة الخالق.

ولذلك فالعقل المتأمّل في الوجود الخلقي يدرك إنَّ وراء كلّ شيء مشيء له؛ فلو لم يشأه ما كان شيئا، وبما أنَّه أصبح شيئا؛ فهو لم يكن إلّا وفق مشيئة، وهذه تستوجب: مقدرة خلقية، وخالق يهيئ المخلوق للخلق قبل أن يخلقه، ومن ثمّ؛ فلا شيء إلّا من مشيء: {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا}[32].

ولأنَّ خلق الشيءِ من الشيء يعد نشوءا؛ إذن فلا نشوء إلّا والحياة تملؤه؛ فالأرض لو لم تكن على الحياة، ما كان ترابها صالحًا لخلق الإنسان، وإنباته مثل النبات نباتًا، إنَّه النّبات الذي من بعده لا تخلق الكائنات من الكائنات إلّا تزاوجًا.

32 الأنعام: 80.

ولذلك كان الخَلق أوّلًا، ثمّ جاء النّشوء مترتّبًا عليه، ومن بعده جاء خلق الأزواج من طين، ثمّ جاء خلق التزاوج من نطفة؛ فكان التكاثر على التسيير فيما لا شأن للإنسان به، وكان التخيير وفقا للإرادة والرّغبة التي تمتدّ بين شهوة عاطفية، وخُلقٍ وحُسن تدبّر، وضبط ضمير.

ولأنَّ الكون لا يخرج عن كونه شيئا؛ فالشيء لا يمكن أن يكون إلّا مخلوقًا، ولأنّه المخلوق فلا يمكن أن يكون خالقًا؛ فالخالق (لا يكون شيئًا، ولا يكون لا شيئًا، ولا يكون شيئًا آخر). بل هو الخالق، الذي يَخلق ولا يُخلق.

وعليه فإنَّ الأشياء المخلوقة لابدَّ وأن تتولّد من بعضها بعضًا، وتتناسل من بعضها بعضًا بقوّة خارجة عنها؛ انطلاقًا من أنَّ (المخلوق لا يمكن أن يخلق نفسه) ومن ثم؛ فإنَّ تتبّع استمداد الشيء من الشيء المستمدّ منه، أو المخلوق من المخلوق منه يعد الطريق العلمي الممكّن من معرفة الخالق عن بيّنة وعلم تامّ، وهو الممكن من توليد الشيء من الشيء، فَلِمَ لا ننظر ونستطلع ونستقرأ ونتطلّع ثمّ نعمل؟

لقد بيّن الله لنا الشّيء خلقًا، ثمّ نشوءًا (خَلق مِن خَلق) أي: خلق الشيء من الشيء؛ وذلك ليبيّن لنا آياته إعجازًا، ثمّ ليفسح أمامنا إمكانيَّة توليد الشيء من الشيء أملا؛ فعمل أصحاب العقول ما عملوا توليدًا (تكاثرًا) دون أن يخلقوا شيئًا؛ لأنّ الخلق استحالة بالنسبة إلينا؛ لأنّه فعل

الخالق {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[33]، أمّا توليد الشيء من الشيء فهو الممكن، فتولّد الفكرة من الفكرة أملًا يصنع مستقبلًا قبل أن يأتي إلينا.

ولأنَّ الخالق جعل الجنّة مأمولة للمؤمنين، فكان عليهم العمل من أجل بلوغها؛ مصداقًا لقوله تعالى: {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[34]، أي: لا جنّة بلا عمل، وهذا يعني: لا عمل بلا أمل؛ فمن كان له أملٌ عمل عليه، ومن لم يولّد أملًا في نفسه وعقله فلا مأمول له؛ ممّا يجعل وجوده عبئا على نفسه وعلى غيره.

فالله تعالى جعل لنا مأمولًا عظيمًا (الجنة)، ويودّ أن تكون لنا فيه مكانة، فقال: {وَقُلِ اعملوا}[35]، أي: اعملوا حتى تولّد لكم آمال تمكّنكم من بلوغ الجنة والفوز بها؛ فهو كمن يقول: إنّها تنتظركم فلا تتأخروا عنها؛ فاعملوا كلّ ما من شأنه أن يمكّنكم من الرّشد والغنى والمتعة والرفاهية

---

33 يس: 82.

34 الواقعة: 11 ـ 24.

35 التوبة: 105.

والسّلام والأمن، فهذه إن كانت في مرضاة الله تقرّبكم من أبواب الجنة، أي: وكأنّه يقول: تجنّبوا ما يؤدّي بكم إلى الألم والفقر؛ فالألم لا مكان له في الجنة، والفقر لا مكان له في الجنّة، ومن يعيشهما إرادة فهو كمن يتمنّع عن الاقتراب من أبواب الجنّة؛ أي: لِمَ لا نكون أغنياء؟ ولماذا البعض غني والبعض فقير؟

أقول:

العمل وحده هو الفارق.

ولكن أيّ عمل؟

العمل المرضي لله تعالى، وهو المرضي للنَّفس والآخر في وقت واحد؛ ولهذا العمل غير المرضي قد يشبع حاجة، ولكنَّه لا يُمكِّن من نيل المأمول؛ فهو قد يجعلك متباهيًا ومتكبّرًا ومفسدًا وهذه الصِّفات لا تؤدّي بأصحابها إلى الفوز بالمأمول.

ولأنّ الله يريدنا أغنياء بنعيمه في الدارين جعل لنا الخيرات في الدارين مع الفارق في المقارنة، وللفوز بالعيش النعيم قال: (اعملوا) وبعث رسله يحثون على العمل؛ مصداقا لقوله تعالى: {وَيَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[36]، أي: اعملوا ما استطعتم حتى تبلغوا الغنى رشدا (غنى النفس والعقل والقلب والمال) بمعنى: اعملوا الخيرات الحسان بلا تردّد، وولّدوا ممّا

36 هود: 93.

تعملون آمالا تطوى بها المسافة بينكم وبين المأمول العظيم الذي ينتظركم، أي: يا فقراء النفس ولّدوا الغنى في نفوسكم كلمة طيبة، وولّدوا الغنى في عقولكم فكرة منتجة، وولّدوا الغنى في قلوبكم محبّة لله وعبيده، وولّدوا الغناء في أعمالكم وجهودكم تحدّ للفقر، ولا استغراب؛ فكل شيء ممكن في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع؛ فلا تتأخروا إن أردتم بلوغ الجنّة.

وعليكم جميعًا أن تفكّروا؛ حتى تستطيعوا توليد الفكرة من الفكرة، وتوليد الأمل من الأمل، وعليكم بإدارة الزّمن، وعليكم بامتلاك الإرادة التي لا تكون إلّا بقرار منكم؛ فاتخذوه قرارا، وفي كلّ قرار عليكم بتقوى الله. فإن فعلتم ذلك لا شكّ أن الجنة ستقترب منكم أكثر ممّا تقتربون إليها.

ومع ذلك فكّروا؛ فالتفكير المتّزن يخرج من التأزمات، ويخلّص من الآلام والمواجع، ومنه تولد الفكرة فكرة أعظم؛ فهي وإن كانت فكرة مجرّدة فإنّها قد تتوّلد من الشيء المشاهد أو الملاحظ، كما تتولّد وتستمدّ القوانين من المعطيات الكونيَّة والطّبيعيَّة، ولأنّ الفكرة مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه، ولّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباها لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول.

فالفكرة لا تولد في الخارج، بل الخارج يستفّز العقل ويُلفته إلى ما يُمكِن أن يُستكشف؛ فيبدأ العقل إعماله تجاه المستفزّ والحيرة تلازمه حتى

يبلغه، وحينها لا تجد الحيرة مكانا لها عند المستكشف معرفة، أي: لا يمكن أن تبقى الحيرة مع التجلّي المعرفي، بل تبقى مع بقاء اللبس والغموض، وفي المقابل تزول بزوالهما.

والفكرة تعدُّ صوغًا عقليًّا لمولودٍ لم يولد بعد؛ وهو بعد الولادة لن يكون فكرة، بل شيئًا غيرها، ولكنّه المؤسّس عليها؛ فلو لم تكن ما كان؛ ولهذا فالفكرة هي استنباط الشيء من الشيء، بعد تهيّئه على الشّكل أو الصّورة أو الرّسالة والموضوع، ممّا يجعل المستنبط في صورة موضوع عام، حيث لا تفصيل؛ فالتفصيل لا يكون إلّا للموضوع الذي تمدّدت الفكرة فيه بداية ونهاية، والفكرة هي الفكرة، والموضوع ارتقاء لا يكون إلّا المفسّر للفكرة إيضاحًا.

فبعد أن تطوّر الإنسان من حياة الفطرة والتقليد إلى حياة الإنباء والفكرة، أصبح يُبدع استكشافًا، وليس خَلقًا؛ ذلك لأنّ المخلوق لا يَخلق، ولكنّه في دائرة الممكن يكتشف المخلوقات، ثمّ يكتشف منها أسرارا كانت مجهولة؛ فيكتشفها بحثًا، وتأملًا، واستنباطًا، واستقراءً، ثمّ يوظّفها أملًا بما يعود عليه بالمنفعة، وهكذا هي الحياة والإنسان فيها يتطوّر بالفكرة، ومع ذلك لم يكن التفكير كلّه مؤسّسًا على استنباط الفكرة ارتقاء، بل هناك من الفكرة ما يؤدّي إلى السُّفليَّة والانحدار.

ومع أنَّ الفكرة تولد في العقل البشري بداية بمستفزّات خارجيَّة، فإنّها بعد أن تولد منه إنتاجًا تصبح وفقا للقدرة قابلة للانتقال من عقلٍ إلى

عقلٍ مع وافر التأثير، سواء أكان تأثيرًا موجبًا، أم سالبًا، وعندما تكون الفكرة بنائية، تدفع المتلقِّين لها إلى الارتقاء، ولكن إن كانت هدّامة؛ فستدفع بمتلقيها إلى ارتكاب الأعمال الدُّونيَّة، ومع ذلك؛ فالعيب لا يلاحق الفكرة المجرّدة، بل العيب يلاحق من كان من ورائها (من أوجدها)؛ الذي فكّر فيما يضرّ في الوقت الذي ينبغي أن يفكّر فيه فيما يفيد وينفع، وهنا تكمن العلّة، أي: تكمن العلّة في أصحاب الفكرة الهدّامة، سواء الذين أنتجوها، أم أولئك الذين سوّقوا لها ووظّفوها.

وعليه:

ينبغي ألّا ننظر للمستقبل وكأنَّه الزّمن المجرّد، بل ينبغي أن ننظر إليه مأمولا فيه الخلاص من كلّ همٍّ وغمٍّ، ومن كلّ حاجة وفاقة، ومن كلّ مرض وداء، ومن كلّ ظلم وعدوان، ومن كلّ ضعف ووهن، أي: فإن نظرنا إليه مجرّد زمن سنكون في خانة الكسالى المنتظرين، وإن نظرنا إليه مأمولا فليس لنا إلّا العمل من أجل بلوغه ونيله أو الفوز به.

ولسائل أن يسأل:

ممّا يتولّد الأمل؟

. من التذكّر الذي يلفت العقل إلى قراءة التَّاريخ وأخذ العبر والمواعظ منه.

. التأمّل في المشاهد، حتى معرفة المجرّد الذي من ورائه.

. التدبّر الذي لا يتيسّر إلّا بعد استقراء واستطلاع للواقع كما هو بهدف تغييره إلى ما ينبغي أن يكون عليه.

. التفكير فيما يجب بلا عواطف مع القبول بدفع الثّمن من أجل الأفضل المأمول.

وعليه: لم يكن الأمل استقراء المستقبل، بل الأمل: العمل من أجل بلوغ المستقبل، أي إنَّ أصحاب الآمال العريضة لا ينظرون للمستقبل زمنًا مجرّدًا، بل ينظرونه الحياة المأمولة، التي فيها التيسير مخلّصٌ من كلّ تعسير؛ ولهذا فهم يسابقون الزّمن عملًا منتجًا ومبدعًا، ومن ثمّ فالآملون ليس لهم وقت للانتظار، وهذا الأمر أخرجهم من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين، ومن خانة الضعفاء إلى خانة الأقوياء، ومن خانة الفقراء إلى خانة الأغنياء، ومن خانة المستسلمين إلى خانة المتحدّين.

فالأمل كونه من إنتاج العقل، لا يستمدّ إلّا من واقع في حاجة لأن يُطوّر أو يغيّر؛ لأنَّ معظم الآمال هي نتاج استشعار معضلة تستوجب حلًّا، ومتى ما بلغ الإنسان حلّا اكتشف معضلة أخرى تلفت عقله وتستثيره تفكيرا بغاية بلوغ المأمول حلّا؛ فيفكّر تدبّرا حتى يقتنص لها حلٌّ من خلال بحث يتّضح فيه أثر المتغيّرات المستقلّة والمتداخلة في كلّ معضلة، وكلّما ازداد عدد المشاكل والمعضلات الحياتية يفترض أن تتولّد آمال منقذة.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن خُلق مخيّرٌ؛ فينبغي أنْ يفكّر فيما يشاء كيفما يشاء والأمل لا يفارقه، فيقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب؛ وبإمكانه أن يتطوّر ارتقاء، أو أن يتخلّف وينحدر دونية. ولأنّه مخيّر؛ فله من المشيئة في دائرة الممكن ما له، يأمل أو لا يأمل، يؤمن ويكفر أو يشرك كما يشاء؛ ذلك لأنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هو بين يديه إرادة.

نيلُ المأمولُ يُمكّن مِن الرّفعة وبلوغ القمّة:

لا شكَّ أنَّ وراء كل غاية غاية أهم، ووراء كل مأمول مأمول أكثر أهميَّة، ومع أنَّ معظم المأمولات الدُّنيويَّة ماديَّة، فإنَّ المترتّبات على نيل المأمولات لا تكون إلَّا مكانة، والمكانة لا تكون إلَّا نوعيَّة وليست بمادية.

ومِن هنا يعدُّ تبوء الرِّفعة والقمَّة تبوء مكانة، وقد تكون المكانة إيمانًا رفيعًا، وقد يكون كفرًا وشركًا؛ ولهذا وراء كل أملٍ نيَّةٍ (مقصد) وهو الذي يحدِّدُ جوهر الأمل، ونيَّة الآمل، ونوع المأمول وشكله.

ولأنَّنا افترضنا في كلٍّ من الأمل والمأمول خيرًا، وفقًا لقاعدة التسيير الإلهي، والتخيير طاعة لما يجب؛ فإنَّنا عَدَدنا الأخلاق قمَّة الآمل.

والأخلاق قمَّة هي نتاج القيم الحميدة، والفضائل الخيّرة، التي تستمدّ من الأديان والأعراف ارتقاءً، بها يرتقي الإنسان قولًا وفعلًا وعملًا ومعرفةً وسلوكًا من أجل علاقات اجتماعيَّة وإنسانيَّة مؤسّسة على نيل التقدير والاعتبار.

فالإنسان أساس خَلقه الارتقاء (في أحسن تقويم) وأمله الارتقاء خُلُقا إلى ما يجب، ومع أنَّ الأخلاق بيد النّاس، فإنَّ بعضهم انحدارًا يخسرها بلا ثمن.

ولذلك فالإنسان الأوَّل قد خُلق من تراب الجنّة، وظلَّ على خَلقه سلالة بشريَّة تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده؛ فالإنسان هو الإنسان، ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فآدم عليه السّلام وزوجه خُلقا في الجنّة من تراب الجنّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن الفضائل التي أمر بها الخالق تعالى؛ حيث لم يلتزما بالأمر النّاهي عن الأكل من تلك الشجرة، {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[37].

إذن فالبقاء في الجنّة بقاء فضائل خيّرة، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصّلاة والسّلام الذي خُلق في الجنّة خَلقًا، أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدّنيا؛ وذلك بأسباب معصيته، وميله لوسوسة من أغواه شهوة.

37 البقرة: 36.

ولأنَّ الأخلاق يتمّ تشرّبها فضائل خيّرة؛ فبعد أن تلقّى آدم كلمات من ربّه ترشد إلى التي هي أقوم تاب الله عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[38]، ومع ذلك صدر الحكم عليه والأرض ومن عليها من المخالفين أن يهبطوا من علوٍّ وارتقاء إلى سُفليّة ودونية: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا}[39].

ولأنَّ الهبوط كان نتاج الانفتاق العظيم؛ فهو خروج من الجنّة؛ حيث ظلّت الجنّة في العلو رُقيًّا، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الدّنيا على الأرض الدّنيا، وفي المقابل بقي الملائكة الطّائعون في علوّ الجنّة ارتقاء، ولا يتنزّلون إلى الأرض الدّنيا إلّا تنزيلا لأداء مهمّة تربط أمرا بين السّماء والأرض، نحن نجهله: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذن رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[40].

ولأنَّها الأرض الدّنيا، وحياة المخالفين والمختلفين عليها مملوءة وسوسة وإغواء؛ فلا إمكانيَّة لأن تكون فيها الحياة آمنة مستقرّة لو لم تتنزّل الرّسالات والأنباء الواعظة والنّاهية والآمرة والمحذّرة والمنذرة والمبشّرة بما هو أمل يشبع حاجة ويرضي رغبة؛ وذلك من أجل علاقات إنسانيَّة تنظّم

38 البقرة: 37.

39 البقرة: 38.

40 القدر: 3 ـ 5.

أساليب الحياة ارتقاء وتلفت المختلفين إلى ما يؤدّي إلى الاتعاظ، ويمكّنهم من إحداث النُّقلة وبلوغ القمّة المأمولة.

وعليه:

الأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول قمَّة ثم نيله نُقلة، والآمال هي المرجوة بلوغًا ثم نيلًا، سواء أكانت بحثًا علميًّا أم عملًا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدد لها الأهداف؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفة أو بناء وإعمارًا وصناعة مستقبل تحدث النُّقلة أخلاقًا، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافًا وخلافًا لن ينتهي بين البناة أملًا، والهادمين له انحدارًا ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاءً، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة؛ من أجل إحداث النُّقلة أخلاقًا، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات

بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقًا لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً[41].

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة حيث لا أمل، والزَّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة، فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاءً تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافًا من ورائها أغراضٌ، والغاية من ورائها القمّة مأمولة[42].

---

[41] عقيل حسين عقيل، طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م، ص 159 – 199.

42 عقيل حسين عقيل، نيل المأمول قمّة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2020م، ص 72 – 106.

استطلاعُ الدِّراسات السَّابقة

استطلاع الدِّراسات السَّابقة ضرورة للبحَّاث الجادّين وهم الذين يرغبون معرفة المزيد عمَّا يأملون البحث في صدده تخصُّصًا؛ ولهذا فإنَّ استطلاع الدِّراسات السَّابقة يُجنِّب البُحَّاث الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها مَن سبقهم مِن البحَّاث بحثًا.

والاستطلاع لم يكن غاية في ذاته، بل القصد معرفة تلك المحيِّرات، التي واجهت البُحَّاث، وكيفيَّة تغلّبهم عليها وتجاوزها بحثًا موفور بالنتائج البنَّاءة.

والاستطلاع العلمي ليس استطلاع عابر، بل استطلاع بكل معطيات التفحّص الممكِّنة مِن معرفة الأخطاء وإمكانيَّة تصحيحها وتصويبها، أو التأكيد على سلامتها، أو إيجاد الحلول والبدائل العلميَّة.

مفهومُ الاستطلاع:

الاستطلاعُ جهدٌ يبذل بغاية المزيد المعرفي سواء أكان استطلاع رأيٌ عام أم رأيٌ خاصّ، أم أنَّه استطلاع علمي تقود إليه أهداف الباحث الموضوعيَّة وفروض بحثه أو تساؤلاته.

ولهذا فالاستطلاع تبُّنٌ قَبل الإقدام على الفعل أو العمل أو السُّلوك المستهدف القيام به، أو تنفيذه على أرض الواقع.

إنَّهُ التبيُّن المعرفي الممكِّن من الاستيضاح وفكّ الملابسات بهدف اتخاذ قرارات موضوعيَّة تجنِّب الوقوع في غير المتوقّع.

إنَّه التبيُّن العلمي للمُستطلَعِ وإظهاره (هو كما هو)؛ ليكون بين أيدي الباحث ميسّرًا، أو بين أيدي النَّاس بلا انحيازات ولا ميول شخصانيَّة.

ومع أنَّ مصطلح الاستطلاع يرتبط بالمستقبل فإنَّه يمتدُّ أملًا إلى الماضي المأمول حتى يتم نيله نتيجة مرضية؛ ولهذا فالآمل لا يقفز على الزَّمن بقدر ما يراه ضرورة لنضج الثِّمار المستهدف جنيُها، فيعمل من أجل سلامة نضجها حتى تستوي رطبًا.

ومن ثمّ فالأمل يحتوي الزَّمن من أجل بلوغ المأمول ونيله بلا ملل، والآمل لا تضيق نفسه من الزَّمن الذي يجب أن يكون حاضرًا والمأمول لا يفارقه، بل نفسه تضيق إنْ لم يعمل عبر الزَّمن من أجل نيل ما يأمله.

ولأنَّ الأمل يحتوي الزَّمن وكأنَّه مسافة تستوجب العبور؛ فلا يمكن لآملٍ أن يرى الزَّمن عائقًا ولا سالبًا، بل يراه من موجبات تحقيق الأمل ونيله؛ ولذا وجب على الآملين حساب الزَّمن وإدارته وفقًا للأهداف والأغراض والغايات الكامنة من ورائها؛ ولهذا ينبغي استطلاع الدِّراسات السَّابقة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّ الأمل لا يكون إلَّا في الزَّمن الحاضر، فإنَّ المأمول لا يمكن أنْ يكون فيه، ومع أنَّ الأمل بالنّسبة إلى العموم لا يكون إلَّا في الزَّمن المستقبل، فإنَّه بالنّسبة إلى الخصوص فهو في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ومن هنا يمكن أن يكون المأمول في المستقبل، ويمكن أن يكون في الماضي؛ ولهذا فهم يسعون من أجل بلوغه ونيله أينما كان، فعلى سبيل المثال: لو كان المأمول هو الجنّة، فهل الجنة تقع في الزَّمن الحاضر، أم أنَّها في الزَّمن الماضي؟

أقول:

مع أنَّ الأمل بالنّسبة إلى بني آدم يرتبط بالمستقبل، فإنَّه بالنّسبة إلى آدم؛ يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقًا؛ ولهذا فالأمل بالنّسبة إلى آدم العودة إلى تلك الجنّة التي فُقدت في لحظة غفلة.

ولهذا فالأمل مع أنَّه من حيث المفهوم واحد، فإنَّه من حيث الدّلالة ليس كذلك؛ ولذا وجب التفكير في الزَّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون أنَّ الجنَّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنَّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍ، أمَّا الأمل فظل منقطعًا على الأرض التي أُهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دنيا؛ فهذا شيء مما يحتويه التَّاريخ الذي قيمته أوجبت استطلاع الدِّراسات السَّابقة التي تحمل في طيَّاتها حقائق لا ينبغي أن يغض الباحث نظره عنها.

ومن ثمّ فلا ينبغي أن يكون التفكُّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما، ويمثلان له قاعدة تأسيس لكلِّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول.

فالإنسان الأوَّل الذي خُلق في الجنّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ؛ فأخرج به هبوطًا مِن الجنّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعًا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنّة التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه شهوة وإرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه.

وعليه:

فإنَّ الاستطلاع في حاضره لا يكون إلَّا بين الزَّمنين، فهو كما يرتبط بالمستقبل يرتبط بالتمام بالماضي؛ ولهذا فلكلِّ فعل أو عمل أو سلوك يحدث في الزَّمن الحاضر علاقة ارتباط بماضٍ (مؤلم أو سعيد) أو بمستقبلٍ مأمول، أو بهما معًا.

ومن هنا فالاستطلاع مع أنَّه في أذهان العموم يرتبط بالمستقبل فإنَّه في حقيقة أمره يرتبط بالزَّمن كلَّه، أمَّا ارتباطه بالدِّراسات السَّابقة فقد قيِّد

بما هو ماضٍ، أي قيَّدته كلمة (السَّابقة) فأصبح في هذا التوصيف مقتصرًا على السَّابق موضوعيًّا.

ومن ثمَّ فالاستطلاع رغبةٌ معرفيَّة من أجل المزيد معلوماتيًّا، بهدف التبيُّن الممكِّن من الإقدام، أو التجنُّب، أو الانسحاب، مع أخذ الحيطة والحذر، أو إعداد العُدَّة.

إذن: الاستطلاع انتباه استكشافي يمكِّن من المعرفة الواعية للظاهر والكامن، سواء أكان عادةً، أم فكرًا، أم عملًا، أم فعلًا، أم سُلوكًا بغرض كشف اتجاهات المستطلَع ومقاصده وحيويَّته.

فالاستطلاع تحقيق معرفي أو تحقيق علمي مقنَّنٌ ومصنَّفٌ، يجرى في ميادين الفكر، والثَّقافة، والطَّبيعة والعلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشرية؛ لأجل معرفة حقيقة الأمر التي استفزَّت الباحثين موضوعيًّا.

ولهذا فللاستطلاع وسائله المختلفة؛ فمنها: المقابلات، والمشاهدات، والملاحظات، والاستبيانات التي تُمكِّنُ من توافر المعلومات من مصادرها وإخضاعها للتَّفحُّص والتحليل الممكِّن من بلوغ النتائج القابلة للتفسير العلمي.

والاستطلاع الموضوعي يستوجب وعي المستطلع أو الباحث بالموضوع المستطلع من أجله، وإلَّا لن يكون الأمر ميسَّرًا لتحديد المشكلة،

أو الموقف، أو الاتجاه، أو الظَّاهرة، أو المشهد قيد الاستطلاع والتقصِّي، الذي يستدعي استطلاع ما عند الآخرين، أو استطلاع أماكنهم، أو اتجاهاتهم، أو آرائهم، أو معتقداتهم، وأفكارهم وثقافاتهم وظروفهم، وقدراتهم، واستعداداتهم، وإمكاناتهم، أو استطلاع المؤشرات البيئية والطبيعيَّة التي لفتت آراء البحاث في زمن بحوثهم السَّابقة والتي تبدوا للظّهور في زمن إجراء البحث والدِّراسة.

مفهومُ الدِّراسَات:

الدِّراسَات جهود تُبذل بغاية معرفة المزيد المعرفي والعلمي، سواء أكنت الدِّراسات تلك التي أُجريت، أم هذه التي تُجرى، أو تلك التي ستُجرى، ولأنَّها دراسات فهي شاهدةٌ من الشواهد التي من المستحسن الرُّجوع إليها والاستفادة من تلك الجهود التي أظهرتها إلى حيِّز الوجود دراسة علميَّة.

والدِّراسات التي نحن بصدد التعريف بها في هذا المؤلَّف هي ما تمَّ إجراؤه بحثًا علميًّا سواء أكان نظريًّا، أم ميدانيًّا، أم معمليًّا أم مختبريًّا.

فالدِّراسة تفحُّص وتدقيق علمي في المعلومات المستمدَّة من مصادرها، وميادينها الاجتماعيَّة، والإنسانيَّة، والطبيعيَّة.

ولذا فإنَّ الدِّراسة العلميَّة تُمكِّنُ الباحث من الاطلاع على تلك الجهود التي سبق وأن أنجزت بحثًا، وقد أجيزت من قِبل لجان الإشراف

والمناقشة، أو أنَّها نشرت معياريًّا؛ ولأنَّها ذات علاقة بموضوع البحث وفقًا للتخصُّص والاهتمام يتمُّ البحث عنها، والعودة إليها، والاستئناس بها فيما يخصّ المشكلة قيد البحث.

فتلك الدِّراسات ذات العلاقة في زمن إجرائها توصف بأنَّها بحوثٌ، ولكن بعد أن أُجيزت من قِبل لجان المناقشة العلميَّة ونُشرت تُصبح مادَّة علميَّة ومعرفيَّة متوفِّرة بين أيدي البحاث، وبإمكانهم الاطلاع عليها، ومراجعتها، والاستفادة من معلوماتها ونتائجها وتوصيات البحَّاث وفقًا لكلِّ تخصُّص.

ولأنَّها توصف بالدِّراسة، فهي مستوفاة الشُّروط، وأصبحت قابلة للاستطلاع العلمي الممكِّن من كشف العلاقة الموضوعيَّة بين مشكلة البحث التي ما تزال مشكلة بين يدي الباحث، وتلك الإشكالية التي تمَّ بحثها من قِبل باحث سابق، استطاع من خلالها أن يصوغ فرضيات أو تساؤلات علميَّة، ثمَّ تمكَّن من تحقيق أهداف بحثه التي أوصلته إلى نتائج وتوصيات ذات أهميَّة وتفتح آفاقًا واسعة وجديدة أمام بحاث لاحقين.

وعليه: يحتوي مفهوم الدِّراسة مضمون التَّدارس من خلال تداول الباحث للمعلومات والنتائج التي توصَّل إليها مَنْ سبقه بالبحث، وإخضاعها للنقاش والتعليل والتفسير بما يمكِّن من قراءة ذلك المشهد أو تلك الظَّاهرة سواءً أكان المشهد أو الظَّاهرة سياسيَّة أم اجتماعيَّة، أم اقتصاديَّة، أم طبيعيَّة، ولكن من زاوية العلاقة بمشكلة البحث الحاليَّة.

فالتدارس يعني إخضاع تلك البحوث التي أجريت واستكملت شروطها، ونشرت، أو أُجيزت من قبل لجان التقييم والمناقشة إلى القراءة الجادة والمتفحّصة بغرض الاستفادة العلميَّة التي تجنِّب الباحث من الوقوع في الهفوات، وتمدُّه بنتائج وتوصيات ترشده إلى ما ينبغي، وتيسر أمامه السُّبل الجادة في اتجاه ما يبحث عنه، وهو ما يأمله ولم يكن بين يديه بعد.

إذن: الدِّراسة جهود تبذل وفقًا لفروض أو تساؤلات وأهداف محدَّدة قابلة للإنجاز بغرض تأصيل المعرفة المصنَّفة، وتجنُّب التكرار، والاستفادة بجهود الذين كان لهم السَّبق في كشف المجهول، وكسر قيوده، ومن ثمَّ تيسيره معرفة بين أيدي الباحثين.

وتوصف الدِّراسة بأنَّها إعادة قراءة لذلك المنجز علميًّا بغاية الاستفادة، وتجاوز الصِّعاب التي وقع فيها من سبق له البحث في مضمار المعرفة المصنَّفة، وهي تمعُّن فيما أنجز وكتب ونشر مع تقييم موضوعي لا يستند إلَّا على خطوات البحث العلمي.

وعلينا أنْ نميِّز بين البحث العلمي والدِّراسة، فكثير من البحاث يخلطون بين هذا وذاك؛ فالدِّراسة جهود تُبذل على واقع معروف لإظهاره وافيًا بين أيدي من يتعلَّق الأمر بهم، وهي واسعة الامتداد في المجالات المتعدِّدة للحالة أو الظَّاهرة أو العميل، وقد تكون الدِّراسة استطلاعية للتعرُّف على ما يشير أو يدلُّ على وجود مواقف موجبة، أو إشكاليات سالبة، أو مواضيع ذات أهمية في دائرة الممكن، وقد تكون الدِّراسة تتبُّعية

وفقًا لخطة مُعدَّة لإنجاز أهداف من ورائها غايات إصلاحيَّة أو علاجيَّة بعد دراستها دراسة وافية.

ومع أنَّ الدِّراسة واسعة المعالم وقد تُسهم في عمليَّات الإصلاح الاجتماعي والنفسي والاقتصادي إلَّا أنَّها في مُعظم الأحيان لا تُضيف الجديد، فهي تُمكِّن من التعرُّف على ما هو كائن، وقد تدفع إلى إصلاحه، أو إصلاح بعض منه (بعض ممَّا فسد أو انحرف).

وتحتوي الدِّراسة الموضوعية خمس عمليات مهنية: (عملية جمع المعلومات، وعملية تحليل المعلومات، وعملية تشخيص الحالة، وعملية العلاج، وعملية التقويم).

وتتَّصف الدِّراسة بالشّمولية من حيث الموضوع، والزَّمان والمبحوثين، فمن حيث الموضوع: تمتدُّ لتشمل المجال الاجتماعي والاقتصادي والسِّياسي والنَّفسي والذَّوقي والثَّقافي، ومن حيث الزَّمن: فهي لا تغفل عن الماضي وأهميته، والحاضر وواقعه، والمستقبل وما يُستهدف من أجله. ومن حيث المبحوثين: تمتدُّ من حالة الفرد إلى حالة الجماعة ثمَّ حالة المجتمع؛ ولذا فإنَّ الدِّراسة تهتم بمعرفة الكلّ وأثره على الجزء والمتجزئ، وهذا ما ليس بالبحث.

أمَّا البحث فإنَّه يتطلّب فروضًا أو تساؤلات وإشكالات تستوجب الحلّ وإلَّا تفاقمت، وأثَّرت في دائرة الممكن المتوقّع، وغير المتوقّع، ولهذا

فالبحث لا يقوم به إلَّا متخصص، ومن هم على مهارة مهنية وفنِّية، أمَّا الدِّراسة فقد يجريها المتخصّص وغير المتخصّص، والبحث يركز على متغيِّرات البحث، والدِّراسة تتوسَّع في غير ذلك فهي تميل للعموم، أمَّا البحث فيتمركز على التخصُّص.

فالبحث يستدعي متخصّصين يقومون بعمليآّت الإشراف وتوجيه البحَّاث وإرشادهم إلى ما يمكِّنهم من استيعاب منهجيات البحث ويمكِّنهم من استخدام وسائله، أمَّا الدِّراسة فتأخذ اتجاهين:

الاتجاه الأوَّل: الدّراسة هي ما أشارت إليه خطوات البحث العلمي بعنوان: (استطلاع الدِّراسات السَّابقة) أي: إنَّ الدِّراسة هنا تعني ذلك البحث العلمي الذي قُيم وأُجيز ونُشر ووثِّق على التمام، فأصبح جاهزًا للاستطلاع من قِبل الدَّارسين لما يحمله من فكرة ومضمون ومحتوى.

الاتجاه الثاني: الدِّراسة هي تلك الجهود التي يجريها ذوو الاختصاص أو الاهتمام، أي: التي يقوم بها المتخصص وغير المتخصص، وهي لا تتطلَّب جهدًا مقنَّنًا كما هو جهد الباحث المتخصّص، ومع أنَّها تتطلَّب معرفة، فإنَّها لا تقيّد بشهادة أو مؤهّل علمي.

أمَّا البحث فجهد يُبذل للتعرُّف على ما لم يُعرف بالتَّمام مسبقًا، وهو تقصٍ دقيق، وتتبُّع واعٍ وفق خطّة مؤسَّسة على أهداف موضوعيَّة

وفروض في دائرة الممكن؛ ولأنَّ الدِّراسة هي معرفة ما هو كائن، فالبحث هو معرفة ما سيكون أو ما ينبغي أن يكون.

إنَّه التتبُّع الدَّقيق والتقصِّي الواعي للعلاقات ذات الأثر السَّالب، أو الأثر الموجب، وكشف ما ستضيفه جديدًا على الحياة الاجتماعية والإنسانية.

ومن ثمَّ تصاغ له الفروض العلميَّة التي تستوعب الجزء المتعرَّف عليه، وتتطلَّع إلى الجزء المفقود حتى تكتمل المعرفة، ويتمُّ بلوغ الحقيقة المتعلِّقة بموضوع البحث ممَّا يجعل بلوغها يؤدِّي إلى الإضافة الجديدة التي لم يسبق لها وإن وجدت، وقد تكون النتائج المتوصَّل إليها بالبحث العلمي إضافة جديد بكاملها وليس إضافة جزء مفقود لجزء معروف، أو متوفّر، وفي مثل هذه الحالات تصاغ التساؤلات بدلًا من صياغة الفروض.

ومن هنا فالبحث يؤدِّي إلى إضافة جديدة لمعرفة سابقة، وقد تكون النتائج المتوصَّل إليها تصحيحًا لمعلومات سابقة، أو إبطال قاعدة من القواعد التي كان يُعمل بها، فالبحث لأجل التعرُّف على الجديد، وإضافته لدائرة المعارف العلميَّة.

ولذا فإنَّ الدِّراسة تجرى على الشيء الموجود، والبحث جهود تبذل من أجل معرفة الشّيء الغائب.

إذن: تجرى الدِّراسات لأجل التعرُّف على ما هو كائن، وتصحيح انحرافاته، مع إعطاء مؤشِّرات لِما ينبغي إن يخضع للبحث الموضوعي، وتجرى البحوث لأجل الجديد، وتتطلَّع إلى كلِّ نافع ومفيد.

وعليه:

لا ينبغي أنْ نطلق على رسائل الماجستير والدّكتوراه مسمَّى الدِّراسة، بل فقط مسمَّى البحث الذي لا يقوم به إلا مُتمكِّن ومتضلِّع في طرق البحث، ومستوعبٌ لمناهجه وأساليبه العلميَّة.

وعليه: فالفارق بين البحث والدِّراسة هو أنَّ البحث مسعى الباحثين عن الغائب من المعرفة، أمَّا الدِّراسة فهي الجهود التي تبذل من أجل معرفة المنجز بحثًا.

مفهومُ الدِّراسات السَّابقة:

الدِّراسات السَّابقة هي تلك الدِّراسات المنقضية بجهود بحثيَّة، وفي تخصُّصات متعدِّدة، وهي الموثَّقة في المكتبات الجامعيَّة ومراكز البحوث العلميَّة، وهي التي لا ينبغي أن يغفل البحاث اللاحقين عليها عن أهميَّتها الموضوعيَّة.

ومع أنَّ مفهوم كلمة السَّابقة يرتبط بالماضي زمنًا فإنَّه لا يقتصر عليه، بل يتعدَّاه إلى مفهوم السَّبق الذي لا يكون متحقِّقًا إلَّا بجهود الباحثين الجَّادِّين، ومن هنا يرتبط مفهوم كلمة السَّابقة بالدِّراسات وليس بالماضي

المجرَّد، ومع أنَّ الدِّراسات المراد استطلاعها قد أُجريت في الزَّمن الماضي، فإنَّ مواضيعها لا تنفصل عمَّا يجري في الحاضر؛ ولهذا فالعلاقة لا تنفصل بين دراسات أجريت، وأخرى تُجرى.

ولأنَّ لكلِّ مشكلة جذورها فلا جذور لمشكلة إلَّا في الماضي، ومن هنا فلا ينبغي الإغفال عمَّا جرى من بحوث ودراسات في الماضي إذا أردنا تأصيلًا أو استمدادًا لرؤيةٍ، أو أردنا اتعاظًا، أو حُسن تدبُّر، أو استطلاعٍ إلى مأمولٍ ينبغي أن يتمَّ نيله.

ومن ثمَّ فالسَّبق في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع كما يولد في الماضي، يولد في الحاضر، ويولد في المستقبل؛ فهو في الماضي سبق زمني وموضوعي (إبداع أو تعرُّف)، وفي الحاضر إضافة واكتشاف أو اتعاظٌ واعتبارٌ، أمَّا في المستقبل فسيكون بلوغ غاية، ونيل مأمول.

ولأنَّ وراء كلِّ مأمول مأمولات لاحقة فالإضافات العلميَّة ستكون دائمًا في حالة اتصال من حيث متابعة السَّابق، وملاحقة الجديد؛ ولهذا فالنظرة العلميَّة إلى السَّابق لم تكن نظرة إلى أموات، بل نظرة تفحُّص وتمعُّن للشواهد الحيَّة التي شهدت على الماضين وما زالت شاهدة بين أيدي البحاث وثائقًا، أو آثرًا من آثار الإعمار والبناء الحضاري والثقافي في تلك الأزْمُن السَّابقة.

ومع أنَّه من الأهميَّة ألَّا يُغفل عن تلك الجهود، وتلك الإبداعات فإنَّ ذلك لا يعني القصور عليها، بل يدلُّ على ضرورة استمداد القوَّة، سواء بأخذ شواهدِ الاتعاظ منها، أو تجنُّب ما وقعت فيه من أخطاء، أو التوقّف على ما أوصت به، ومن ثمَّ تبنّيه كونه على علاقة بما يجري في زمن اللاحقين.

ومع أنَّ لكلمة العلم مفهومًا مستقلًّا كغيرها من الكلمات فإنَّ مفهوم هذه الكلمة وحده يتجسَّد في كلِّ الكلمات، وبمختلف مفاهيمها.

ومع أنَّ الزَّمن متصلٌ فإنَّ الأحداث والمواقيت تفصله؛ ولأنَّه متصل والأحداث تولد فيه أو تنشأ، فهي لا تولد ولا تنشأ هكذا ضربة عشواء، بل وراء كلّ علَّة معلول وسبب ينشأن كما تنشأ البذرة، وينميان كما تنمو.

معطياتُ استدعاء الدِّراسَات السَّابقة:

بما أنَّ الدِّراسَات مُصنّفة وموثَّقة في المكتبات الجامعيَّة ومراكز البحث العلمي، فإنَّ استدعائها سيكون ميسّرًا بين أيدي البحَّاث متى ما شاؤها، سواء استطلاعًا مكتبيًّا في المكتبات الجامعيَّة ومراكز البحوث، أم استطلاعًا منزليًّا ولكلٍّ قوانينه وأساليبه وظروفه ومعطيات استعاراته.

إذن: الدِّراسات السَّابقة هي تلك البحوث والرَّسائل البحثيَّة ولأيِّ مستوى سواء أكانت بحوث لنيل درجة الماجستير والدّكتوراه، أم تلك التي

قام بها من قام وأجراها من أجرى، سواء أفراد أم شركا، فالمهم أن تكون قد وثّقت في مكتبات البحث العلمي وأينما كانت، ومن هذه المعطيات.

معطية التذكّر:

يعد التذكّر الفكري عمليَّة من عمليَّات الفعل العقلي المتعلّق بالمراجعات والاستقراءات بغاية الاستنباط والاستمداد الممكِّن من تدبّر الحاضر، وصُنع المأمول، والتفكير فيما يحفّز على بلوغه ونيله.

ويمثل الماضي خزينًا معرفيًّا متعدّدًا ومتنوّعًا، بما يستثير العقل ويحفّزه على الانتباه والأخذ بما يجب اتعاظًا، فهو حافلٌ بالكثير من التجارب المختلفة التي كان لها حضور واضح ومؤثّر سواء أكان ذلك على مستوى السّلب أم الإيجاب؛ ولهذا فإنَّ الوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفًا على إرث إنساني يمثل حقبة من حقب الماضي، والتَّاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانية سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويًا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبًا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فيكون هذا الطّلب فيما بعد حاجةً ملحةً تكون حاضرة بشكلٍ أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبّيًا للبداية الافتراضية التي كانت السّبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الماضي تفكيرٌ فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانية تسير وفق نسق واحد رغم العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدّائم متحقِّقًا في كلّ زوايا الماضي؛ ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنية والمستقبلية حلولًا مهمّة إلَّا أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في كثير القضايا متحقّقًا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ ولذا تكون الصُّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة.

ويدخل التفكير الماضي حقل التراث، لكن ليس من باب الجمود كأيِّ إيقونة ممكن أن تكون، ولكن من باب التبصّر والتمعّن والإيضاح، فالإنسان يمرُّ بظروفٍ تكاد تتشابه كثيرًا على مر العصور؛ فينتج من ذلك نهايات تكون مختلفة؛ ممّا يطرح هذا الاختلاف وجود آراء مختلفة، وقد شكَّلت هذه النهايات ممرّ تجري فيه الأمور بعد ذلك إلى منعطفات لم تكن في كثير من الأحيان بالحسبان، ولعلَّ تحقّق الأحداث العظام في الماضي يمثّل أحد هذه الاختلافات؛ فالإنسان يختلف تصرّفه كثيرًا حتى في القضية الواحدة؛ إذ تحكمه الكثير من الظّروف التي تتنوّع فلا تقف عند

حدٍّ معينٍ؛ فيكون الارتماء ممثّلًا بتداعيات مختلفة تطرح من خلالها الحدود المفترضة التي تكون النّهاية عند أعتابها؛ فتنساق الأمور إلى امتدادات وإن كانت في بعض الأحيان واهية إلّا أنّها ممثّلة لاتجاهات فكرية كانت وراءها؛ ولهذا لا يمكن أن تكون هناك قطعية في الحلول، فالماضي حمل الكثير من الحلول المختلفة ممّا يحيل إلى انتفاء القطعية التي يمكن أن تطرح على أيٍّ صعيد، فلم يكن هناك حلٌّ واحدٌ لكثير من القضايا وإن تشابهت هذه القضايا إلى درجة التطابق.

ويكتنف تذكُّر الماضي واستدعائه الكثير من التشكيلات التي يكون الوصول إليها يمثّل قراءة واعية بما أسبغ الماضي من طروحات؛ ولهذا نجد يومًا بعد يوم ظهور تأويلات مختلفة للماضي، وقد تكون متناقضة لكن هذا يدلِّل على وجود حيّز كبير في الامتداد الفكري الذي يجوب أروقة الماضي ويقف عند محطاته الشَّاخصة التي تكون فيما بعد دروسًا يستفيد منها من يبحث عن حلٍّ لما يمرّ به الإنسان.

ويطرح التَّاريخ مغايرات مهمّة تكون عند أعتابها نهايات قد تتكرّر، وهذا يُسيّر عجلة الزّمن نحو إيجاد تعالقات متشابهة تكون أكثرها منتمية لبداية سعت دائمًا إلى حلحلت ما يمكن حلحلته في سبيل الوقوف على حدود واضحة المعالم، وهنا يكون السّير في هذا الرواق منكفيًا على تجارب حاضرة وملبّية في الوقت نفسه للتساؤلات التي يمكن أن تُطرح، فتكون التبعات متحقّقة؛ كونها تمثّل امتدادًا مطلوبًا، والتَّاريخ فيه من السِّعة ما

يجعل الكثير من المقولات شاخصة في كلِّ زمان ومكان، فمقولة: (التَّاريخ يعيد نفسه) تتكرّر على كثير من الألسنة، لكنّها كما نعتقد أنَّها لا تمثّل تشكيلًا عامًا في هذا النسق الإنساني، فالتكرار قد يحصل لكنَّه هل يحصل كما حصل في الماضي؟

هذا التساؤل يفضي بنا إلى أن نقول:

إنَّ التَّاريخ يمكن أن يعيد نفسه، لكن هذه الإعادة لا تكون بالتطابق التام؛ لأنَّ هذا الأمر يكون من الصُّعوبة بمكان أن يتحقّق، ومع ذلك فالتجارب الإنسانيَّة متشابهة ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلولٍ علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يسهم بشكلٍ أو بآخر في الوصول إلى حلّ حتى وإن كان افتراضيًّا، لأنَّ الكثير من المشاكلّ تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون قادرة على حلّها، فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيام.

وكلّ التشكيل الذي ذهبنا إليه يكون الخوف حاضرًا فيه؛ كونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوة، فالبحث عن حلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّزه ويرشده بطريقة أو بأخرى إلى البحث عن حلّ يكون من بعده سقوط أو تبدّد كلّ المخاوف القائمة؛ ولذا يكون الاستشعار في هذا التوجّه قائمًا على درجة عالية من

الحذر كي تكون النهاية ملبّية للخوف الأوّل الذي كان محفّزًا بدرجة جعل من آليات البحث عن حلٍّ خاضعة لهذا الخوف بشكل كبير؛ ولهذا علينا أن نفكّر في المجهول بغاية كشف حقيقته ومعرفة علله وأسبابه وإضافته إلى معارفنا التي تسهم في إشباع حاجاتنا المتطوّرة[43].

معطية التدبُّر:

التدبّر هو إعمال العقل وانشغاله تفكيرًا فيما يجب تجاه ما نفكّر فيه، واتجاه من نفكّر من أجلهم، ما يجعل التخطيط تدبّرًا عن تدبّر، أي: تدبّرًا وفقًا لدائرة الممكن (تهيؤًا، وعدةً، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا) أمّا كونه عن تدبّر فالأمر هنا يعود لما وصل إليه العقل البشري من تفكير حتى أوجد طريقة تمكّن من الحلّ، ومن هنا صاغ لها خطّة لإنجازها.

فالتدبّر حُسن إدارة وجودة عمل، به تُرْسم السياسات والخطط وتُتّخذ التدابير الممكّنة من إيجاد معالجات لأيّ طارئ؛ فالتدبّر دراية عقلية يرتقي بحاضر أصحابه إلى ما يمكّنهم من الأخذ بما ينبغي في سبيل إحداث النُّقلة سياسةً واقتصادًا وعلمًا ومعرفةً، نُقلة تطوي صفحات الحاجات المتطوّرة بمشبعات مُرضية وفقًا للفرضيات التي تأسّست عليها بعد استطلاع لما سبق من جهودٍ بحثيّةٍ ومعرفيَّةٍ؛ ممّا يجعل المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة، أو حلّها من جذورها؛ فالتدبُّر

43 عقيل حسين عقيل، من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 96 . 100.

ارتقاءً يمكّن من مواجهة المفاجآت التي يمكن أن تحصل في الزّمن الحاضر دون أن تترك أثرًا سلبيًّا.

ويتّسع التدبّر العقلي والفكري ارتقاءً ليكون حضوره ملبّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة، إلّا أنّه لا يكون حلًّا نهائيًّا؛ فكلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائمةً، لكنّها في وقتها إن كانت ارتقاءً فهي لا شكّ تمثّل الحلّ الأمثل في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيًا إلّا أنّه يفتح مدارك الإنسان رُقيًّا في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة التي تتّسع لكلّ المفاجآت، التي يمكن أن تحدث؛ وهو بهذا يسير نحو إيجاد حلول منفتحة ومكتسية بثوابت افتراضية ممّا يكون مستقبلها حاصلًا، ومنتميًا لهذه الافتراضات.

ففي الزَّمن الآني يحدث الكثير من الأحداث التي يكون وقوعها ممثِّلًا لكارثة أو لأمر غير متوقّع؛ فتكون المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلة.

فالتدبُّر تفكير يُمكِّن من حلّ المفاجآت التي يمكن أن تحصل؛ ولهذا لا يكون الحلّ نهائيًّا، بل وقتيًّا من أجل تجاوز المرحلة المهمّة، ومن الشّواهد التي رأينا فيها التدبّر العقلي مثالًا حاصلًا بالكيفية الآنية ما حصل في تشيلي لعمال المناجم بتاريخ 14 أكتوبر 2010، فبعد أن أصبحوا في غياهب الظلمات في مسافة تزيد عن ستمائة متر تحت الأرض، فما كان من السُّلطات التشيليّة إلّا أن بحثت عن حلّ سريع يكون فيه النّجاة لهؤلاء

العمّال، وفي كلّ تفاصيل الإنقاذ كان الخوف حاضرًا بدرجة كبيرة، ممّا استوجب ضرورة لحسن التدبّر، فأدوات النجاة وطرقها كان يرافقها الخوف ممّا أفضى إلى أن يكون النجاح حليف عملية الإنقاذ، واستعملت في عملية الإنقاذ كبسولة أطلق عليها اسم: (فينكس) نسبة إلى طائر (الفينيق) الأسطوري، وبلغ قطرها 53 سم، وخضعت هذه الكبسولة للتجريب؛ إذ عمد عمال الإنقاذ إلى إنزالها مرّتين في باطن الأرض قبل بدء عمليات إنقاذ العمال، فما كان من الخوف إلّا أن يكون حاضرًا في جميع تفاصيل مهمة الإنقاذ، فالبداية تدبّرًا كانت باحثة عن كلِّ الأساليب التي تجعل من العمَّال يبقون على قيد الحياة سالمين، كالغذاء والاتصال وغير ذلك، أمَّا المهمّة الثَّانية: فكانت في تفاصيل وسائل الإنقاذ بداية من الحفر عن أقرب مكان يصل إليهم، إلى الكبسولة التي تقلّهم إلى سطح الأرض، فالتدبّر في حاضره كان في كلّ شيء يسهم في الإنقاذ، والكبسولة حيطة وحذرًا لم تكن واحدة، بل كانت أكثر من واحدة، ووسائل الحماية المتوفِّرة فيها تدبّرًا كانت خاضعة لمقاييس الخوف من أجل أن يصل العامل إلى سطح الأرض بكلِّ سلامة، ولم يكن الخوف والتدبّر قابعًا تحت الأرض فقط، بل كان حاضرًا عند سطح الأرض وتمثل ذلك في توفير كلّ المستلزمات الصحيّة التي تحافظ على صحة العمال وسلامتهم بما فيها النظّارة الشمسية الخاصّة التي كانت البداية متمثّلة فيها.

ويُسهم الحلّ الآني تدبّرًا في خلق فروض متعدِّدة منتمية إلى مخاوف مفترضة، وهنا يظهر الخوف كمؤسّس حقيقي لفرضيات تسهم بشكلٍ كبير في إيجاد مساحات جديدة فيها من التدبّر والمتناوبات المختلفة التي تشير بشكلٍ أو بآخر إلى وجود افتراقات في المنجز الافتراضي، وهذا يبعث في الرؤى العامّة المتحقّقة روح الامتداد المستفيض الذي يخلق تبعات واضحة تجد صداها عند كلّ فرضية موجودة سواء أكانت متحقِّقة أم كانت في طور الانتماء العام لفرضيات أخذ الحيطة والحذر من أجل سلامة المتدبّر من أجله.

ويكون التدبّر المتعاقب في هذا المنجز الافتراضي أداة فاعلة في بناء استمرارية حقيقية تكون رافدة للعمليَّة المطلوبة، فالانكفاء غير حاصل كونه يخلق انزواءات غير فاعلة تسهم بشكلٍ كبيرٍ في انضواء أنساق عديدة يكون لها دور مهم في الإيضاح والتفاعل والخلق والمبادرة، فتستحيل كلّ ملاحظاتها إلى برامج تتابعية ترشد وترسم ما سيكون وفق عملية نجد فيها تشاكل واضح ينضح بكلّ السياقات التي يكون حضورها فاعلًا ومؤثّرًا.

وعليه: تكون المساحة المطلوبة لهذه الفرضيات منتمية إلى الاتساع الذي يجب أن يكون، وهنا تظهر المدارات بأنواعها؛ كي تشغل حيّزًا واضحًا في هذه المساحة التي تتّسع لكلّ الأطراف، أمَّا حدود هذه المساحة فهي مفتوحة كونها تريد أن تكون نهايتها مفتوحة كي تتّسع لكلّ المفاجآت التي يمكن أن تحدث؛ لأنَّ الواقع يفيض بالمفاجآت؛ فتكون معالجتها تفكّرًا

وتدبّرًا غير منضوية تحت أيّ إدراج، وبغضّ النّظر عن الوسائل التي تُستخدم، ممّا يسمح لها باستقطاب الحلول التي تنقلها من واقعها التي هي فيه إلى واقعٍ جديدٍ يكمن فيه الانتشال المطلوب.

إذن: يوجد التصاق بين التدبّر الإنساني والزّمن الحاضر، أي: لا تدبّر إلّا حاضرًا، وهذا الأمر جعل من يتدبّر يدور في المعاجم التي تنتمي إليها الحلول الآنية التي لا يمكن معاودتها مرّة ثانية؛ لأنّها لم تنتمي إلى دائرة الثبات التحقّقي، فهي تزاول نشاطها ضمن مساحات محدودة يدفعها الخوف باتجاهات ترتبط به وبدون أن يمنحها حقّ التراجع؛ لأنَّها في حقيقة الأمر لا تمتلكه كونها تابعة للخوف بوصفه المانح لكلّ الرسوم التي تُسيّر الحلول في زمنها الحاضر وفقًا لما هو ممكن.

وهنا يباشر التدبّر وجوده من خلال الارتماء في حضن الواقع الذي يكون فيه المشكل حاصلًا بكيفية متوقّعة وغير متوقّعة، فتنبري الحلول المستدعاة تدبّرًا بتقنيات مختلفة؛ إذ تدور كلّها حول إيجاد حلّ سريع وملبٍّ للواقع، ويكون الزّمن مفتوحًا ضمن مدى قد يقصر وقد يطول بحسب الاحتياج المطلوب، فتتعالق عوامل متعدّدة ومتنوّعة تسهم بأشكال مختلفة من أجل الوصول إلى الحلِّ المنشود أملًا.

والإنسان في حاضره يبحث عن سبل كثيرة يريد من خلالها الوصول إلى مبتغاه تدبّرًا، ويكتنف هذا البحث تبعات في حالة الحصول على المبتغى؛ ويكون حسن التدبُّر موجّها للعقل ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع،

فالمتوقّع يكون حافزه ليس بالكبير؛ كونه حاصلًا وحدوده يمكن تبيانها، ووضع علامات لها، وتكون مدعاة للتقييم، ومن ثمَّ تكون قابلة للرصد والتحليل وللتمثّل، إلَّا أنَّ غير المتوقّع تكون حدوده غير واضحة المعالم؛ فيكون الاستغراق الفكري حاضرًا في إيجاد افتراضات مستمرّة تحاول أن تجيب عن كلّ ما يُطرح، وهذا بدوره يخلق حالة من الارتدادات المعرفية التي يكون فيها التسابق حاصلًا للوصول إلى كنف جديد يكون ملبّيًا للمراحل المرادة، فالانزواءات غير مطلوبة، والعبثيَّة غير مطلوبة، والتوقّف غير مطلوب، والتسليم بما هو موجود غير مطلوب؛ ذلك أنَّ التدبّر يمرّ دائمًا بحالة من الحضور المغاير ممّا يحمله على البحث عن كلّ ما يمكن أن يكون فيه الحلّ المرجو[44].

معطية التفكُّر:

التفكُّر لا يكون إلَّا في قضية أو موضوع أو مشكلة محيّرة، وهو من أعمال العقل وعمليات الذّهن، وهو يُمكّن من الإدراك (ملاحقة المعلومة أو الفكرة) وإدراكها أينما كانت بحثًا أو تفكيرًا يخلّص من الحيرة المقلقة؛ فالتفكّر كونه يمكّن من إدراك الشيء قبل فوات أوانه، يعدّ حيوية العقل ونشاطه توجيهًا إراديًّا، وهو لا يقتصر على التفكّر في المتوفّر من المعلومات

[44] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 127 . 131.

أو المتوفّر بذاته للمشاهدة، بل يمتدّ في دائرة الممكن إلى معرفة المزيد المضاف والمبدع.

ولأنَّه التفكّر؛ فهو يلاحق كلّ ما يقع في الزّمن، وهدفه معرفة طبيعة المتعرّف عليه، والاستفادة منه حاضرًا ومستقبلًا، أمَّا غايته فهي: التجويد وإحداث النُّقلة وصُنع المستقبل، ونيل المأمول، أو الفوز به.

ولهذا فالتفكّر تشغيل العقل وتوجيهه تفكيرًا فيما يجب أن يكون غايةً وأملًا، فإنّ كان المأمول مرتبطًا بسابقٍ فتشغيل العقل تفكّرًا يقود إليه، مثل: أبونا آدم عليه السَّلام الذي في زمانه أصبح يفكّر في العودة إلى تلك الجنّة التي افتقدها بعد أن أهبط به والأرض إلى الحياة الدُّنيا، أمَّا بالنسبة إلى بنيه من بعده فالتفكّر يربطهم بالمستقبل المأمول؛ ولأجل ذلك وجب الاتعاظ حتى لا يتمّ الإغفال عن التفكّر في المستقبل: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[45]، فإنْ تذكر بنو آدم تلك الآلام التي حدثت بعلل التفكير اتعظوا، ومن ثمّ ليس لهم بدّ إلَّا التفكّر فيما يجب أن يصنع لهم مأمولًا ومستقبلًا عظيمًا، أمَّا التفكّر في المجرّد فدائمًا ينقل المفكّرين إلى ما يمكّنهم من المعرفة المضافة كما يمكّنهم من إحداث النُّقلة.

ويرتبط التفكّر بالمستقبل المأمول وهو يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهمية كبرى في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الاستراتيجية التي وضعت له اللبنات

[45] الأعراف 176.

الأولى، فالمستقبل يعدّ الأرضية الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع؛ وبذلك يكون التفكّر عنصرًا مهمًّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدمًا نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندًّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلًا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيُّ انكفاء، بل تكون الأمور عامَّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعلية تثري التفكّر وتمنحه أبعادًا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة؛ كي يكون الاتساع المرافق ملبّيًا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شمولية مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموض معيّن يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرؤيا المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية للكثير من الطموحات، وحتى التداعيات التي تخلف انفراجًا وإن كان وقتيًّا إلّا أنَّه قد يكون سببًا في حلِّ الكثير من

المتعلقات المفترضة، كما أنَّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويًّا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانًا بين الحضور الحاصل، إلّا أنَّ مكمنها قد لا يبدو واضحًا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري لنا مسألة مهمة ألا وهي: التنظيم المطلوب ضمن هذه الصيرورة؛ إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم وجعله منهجًا يكمن فيه التحقّق المطلوب، ويكون الحذر حاضرًا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبلية المطلوبة؛ فتكون الآليّات المطروحة تسير وفق اتجاه يكتنفه الحذر وفق كلّ التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلّ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبّيًا للبداية التي طرحت كلّ ما من شأنه أن يصل التفكّر إلى هذه المرحلة وما بعدها ارتقاءً.

وينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب؛ كي تكون الصورة المطلوبة واضحة وملبّية لكلّ التغايرات التي يمكن أن تحصل، فالارتباط المطلوب يغرس في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة يكون مبعثها متزامنًا مع التفكّر في التفصيلات التي يكمن فيها الحذر من أجل تحقيق مستقبل أفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائية تتحكّم بشكلّ ينمّ عن وجود ارتباط فعلي بين هذه الامتدادات الثلاث، ولأنَّ النّهاية مفتوحة؛ سيبقى الحذر مفتوحًا ولا يتقيد بأيّ قيد يمكن أن يكفّه

عن تحقيق فاعليته؛ فالنّهاية المفتوحة تكون حافزًا على خلق استمرارية في البحث تتّجه دائمًا نحو شمولية يتّسع مداها كي تكون متجاوزة لكلّ الأساليب التقليدية التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنَّها تمثّل النّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالف للحياة التي نعيشها؛ فهي قائمة على استنهاض مستمر، وبحث مستمر والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير؛ لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكًا وفوضى معرفيَّة لا تكون نتائجها محمودة أبدًا، وفي المقابل تفطين الذاكرة لاحتواء ما يُنتج عبر الزّمن ماضيًا وحاضرًا يقود بسلام إلى تطلّع مأمول لا يتحقّق إلّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلًا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق؛ فهو من باب أنَّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرًا بالاتجاه الصحيح دون أن تكون له قاعدة يتكئ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة سواء أكانت نظرية أم عملية؛ فتوجه الحذر يكون متماشيًّا مع هذه الامتدادات؛ كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز تريده.

وعليه: يكون التفكّر واقعًا ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعية إلَّا أنَّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون متواجدة بشكلّ لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول

متغلغلا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات التي يكون من ورائها البناء المطلوب؛ لأنَّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادًا مهمّة تسهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق؛ لأنَّ (السّابق) متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءً مغايرًا مبنيًّا على تشعبات استبطانية وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّه نحو إيجاد البدائل، أو إيجاد الجديد الذي يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء التي تكون ملبّية للتساوي الذي يجب ألاّ يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النَّاس جميعًا حياة أفضل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع؛ كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر، فالمخاوف بسمتها الإيجابية المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتًا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيًّا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزًا مهمًّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة، فهو يشير دائمًا إلى وجود خروقات طبيعية وغير طبيعة، تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون، فهو بذلك منبّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثًا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع

بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل أنفع، وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرًّا يمنح الإنسان وعيًا مستمرًا أيضًا؛ ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق، فيكون الخزين العام منساقًا نحو هذه الزيادة التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكرية المطروحة، فيكون الاغتناء الفكري قد وجد له تمويلًا مستمرًا يمنحه ما يشاء، وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد وكلّ ما هو بديل للحاصل[46].

وعليه:

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلَّا بالتفكُّر؛ ولهذا فعلينا به تخطيطًا، مع السّماح للبحاث بالتفكّر حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا، ومن معرفة المعجز معجزًا، ومن معرفة الممكن ممكنًا حتى وإن كان غير متوقّع؛ ولهذا فصناعة المستقبل المأمول تمكّن من معرفة المجهول وكشف خفاياه.

ولأنَّ الحياة من أجل المستقبل؛ فنحن بنو آدم نتعلَّم، ونبحث عن فرص عمل، ونتزوّج، ونصادق من يصادقنا، وعندما نتعرّض لسوء التكيُّف قد نُطلِّق عند الضّرورة، وعندما تقوى علاقاتنا نُشرّع، ونسنُّ القوانين

[46] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 . 135.

والنُّظم، ونحدّد الأهداف، ونرسم الخطط، ونتطلّع بأمل إلى المستقبل القريب والبعيد؛ ولهذا نصوم ونصلّي من أجل نيل المستقبل جنّة.

أهميَّة استطلاع الدِّراسات السَّابقة:

أهميَّة استطلاع الدِّراسات السَّابقة دراسات تربط جهود البحَّاث اللاحقين مع جهود البُحَّاث السَّابقين، ومن ثمَّ تدفعهم إلى إحداث النُّقلة إلى المستقبل الأفضل.

والأهميَّة تقدير معنوي للظّرف، والحالة، والموضوع قيد الاهتمام، أمَّا أهميَّة الدِّراسات السَّابقة فتستمد من علاقتها مع ما يجري موضوعيًّا في الزَّمن الآن، والتي تمدُّ بالآتي:

. تمدُّ الباحث بمزيدٍ من المعلومات والمعارف المؤيِّدة لما يتناوله من إجراءات بحثيَّة.

. تساعد الباحث على الخروج مِن حيرته العلميَّة وضبط خطواته البحثيَّة وتفسير نتائج بحثه.

. تفتح آفاقًا واسعةً أمام الباحث في صياغة مشكلة بحثه.

. تُمكِّن الباحث من التواصل مع الخفايا المعلوماتيَّة موضوعيًّا.

. تلفت الباحث إلى ما ينبغي الاهتمام به، فتلفته إلى ما غفل عنه البحاث السَّابقين، وهو ذو أهميَّة لما يَقدِم عليه من بحث علمي.

. تجنِّب الباحث كثيرًا من الأخطاء التي وقع فيها بعض من سبقه في مجال تخصّصه.

. تيسّر للباحث سُبل المعرفة الواسعة التي تمكّنه من الوقوف على الحقائق وكأنَّه شاهد عيان؛ وبخاصّة تيسِّر له تلك الحقائق التي لفتت أنظار من سبقه من الباحثين ولكنَّهم لم يتمكَّنوا من معالجتها أو إصلاحها.

. تمدّ الباحث بخلفيَّة نظريَّة، تسنده تقنينًا، وتمدّه بالحُجَّة المعياريَّة.

. الدِّراسات السَّابقة تؤصِّل مشكلة البحث اللاحقة، وتظهر الباحث على ما فاته من جهد في مجال تخصّصه.

. تختصر للباحث الجهد والوقت، وتوفّر له شيئًا من الإمكانات، التي لو لم تكن الدِّراسات السَّابقة لكانت أضعاف مضاعفة.

. تمهد نتائج الدِّراسات السَّابقة للباحث قاعدة بحثيَّة منضبطة كما تيسِّر له الصيغ الممكِّنة من صياغة فروض بحثه أو تساؤلاته.

. تظهر للباحث أثر المتغيرات في البيئات المختلفة.

. تُجنب الباحث الوقوع في تكرار أيِّ بحث من البحوث التي سبق وأن دُرست.

. تُمكِّن الباحث من صياغة فروض بحثه أو تساؤلاته من خلال اطلاعه على فروض وتساؤلات بحوث الذين سبقوه في مضمار البحث العلمي.

– تُمكِّن الباحث من تطوير الجوانب التي لم تنل حقَّها من جهود البحَّاث السَّابقين.

. تمدُّ الباحث بمزيدٍ من المصادر والمراجع العلميَّة.

شروط استطلاع الدِّراسات السَّابقة:

مع أنَّها شُروط فإنَّها ليست بقيودٍ؛ ذلك أنَّ الشّروط لا تكون إلَّا في دائرة المستوجبات (ما يجب)، أمَّا دائرة القيود فلا تكون إلَّا في دائرة الإجبار والإرغام أو الإكراه، ولتبيان ذلك فإنَّ شروط استطلاع الدِّراسات السَّابقة كثيرة ومنها:

. أنْ تكون بشكلٍ عام ذات علاقة واضحة مع مشكلة البحث قيد الدّراسة.

. أنْ تكون ذات علاقة بمتغيرات البحث الرَّئيسة والمتغيِّرات المتفرّعة منها.

. مراعاة الأمانة العلميَّة في اختصار وصوغ خطوات تلك الدِّراسات التي شكَّلت لها هيكليّات خاصَّة.

. تنظيم الدِّراسات السَّابقة وضبط وفقًا للتسلسل التاريخي الذي نشرت فيه، فترتَّب تصاعديًّا من الأقدم إلى الأحدث، أو من الأحدث إلى الأقدم.

. أن تستمد الدِّراسات السَّابقة من مصادرها الأوَّلية، وليس من المصادر الثَّانوية.

. أن تكون الدِّراسات مجازة علميًّا من لجان التقييم، وقد نشرت في الدّوريات والمجلات المحكمة.

. أن يكون عرض الدِّراسات السَّابقة مختصرًا، بمهنيّةٍ تُظهر أهميَّة الدِّراسة موضوعيًّا، وتبعدها عن أساليب العرض الإنشائي؛ فالباحث لا يطالب إلَّا بما يتعلَّق بمشكلة بحثه من متغيرات رئيسة أو متغيرات ذات أهميَّة بالرّغم من تفرعها؛ ولهذا فلا داعي للتفاصيل، أي: ينبغي على الباحث أن يطلع على تفاصيل الدِّراسات ذات العلاقة من أجل مزيدٍ من التبيُّن، ولكن لا ينبغي له عرض ما اطَّلع عليه من تفاصيل.

. ألَّا يتمّ التسليم بنتائج الدِّراسات السَّابقة تسليمًا قاطعًا فالكمال دائمًا لله تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[47]؛ ومن ثمَّ فكلّ شيء يخضع للتقييم العلمي موضوعيًّا.

47 الإسراء 85.

كيفيَّة استطلاع الدِّراسات السَّابقة:

الكيفيَّة هي المحتويَّة لتلك الخطوات وتلك الآليَّة التي بها تُفعل؛ ولهذا لا يكون للدِّراسات السَّابقة وجودًا على الواقع إلَّا على ضوءها أو وفقًا لخطواتها المنهجيَّة.

ومن ثمَّ فالدِّراسات السَّابقة وفقًا لما تمَّ تبيانه هي تلك البحوث التي أنجزت في ميادين البحث العلمي، وقد أجيزت من لجان المناقشة رسميًّا، سواء أكانت في مراكز البحوث، أم الجامعات والأكاديميات العلميَّة، أم التي أجيزت بعد مناقشة في الندوات والمؤتمرات العلميَّة المتخصّصة.

وقد يتساءل البعض:

لماذا استطلاع الدِّراسات السَّابقة؟

أقول:

لأنَّها تحتوي على السَّابق: والسَّابق هو كلّ قول، أو فعل، أو عمل، أو سلوك متَّصل ومستمر بشيءٍ من نوعه (من الماضي إلى الحاضر)؛ ذلك لأنَّ الزَّمن الحاضر يحتوي على كل الماضي بالفعل، ويمتد إلى المستقبل بالقوَّة، فلو لم يكن هناك ماضٍ ما كان هناك حاضرٌ ولن يكون هناك مستقبل، ولذا فالحاضر لا يكون إلَّا نتيجة تراكم الزَّمن الماضي كوحدة ثابتة بالفعل المتحرّك الذي كان حاضرًا.

وعليه: ينبغي أن ينطلق التحليل والتفسير العلمي موضوعيًّا من ماضٍ إلى حاضرٍ في اتجاه المستقبل بالقوَّة؛ ولأجل ذلك تتكوّن الأفكار الحاضرة بقوَّة الماضي الذي يمدُّها بقوَّة التطلّع للمستقبل الأفضل والأجود.

ومن ثمَّ يحدث التغيُّر والتقدُّم والتطوُّر باحتواء الزَّمن الحاضر على الزَّمن الماضي بما له وما عليه كاحتواء الجسم على وزنه، واحتواء العمر على أيَّامه، والمسافة المقطوعة على أمتارها المتكوّنة منها.

وإذا لم يتم التعرّف على السَّابق واحتوائه، لا يجد اللاحق مكانًا له بين الذين قد سبقوه ليُصبح مصدرًا، أو مرجعًا للباحثين الآتين من بعده؛ ولذلك لا ينبغي أن ينعزل التحليل الحاضر عن التحليل الذي سبقه حتى وإن كان بينهما اختلاف في طرق التحليل وأساليبه، وهذا لا يعنى أن يكون بينهم بالضرورة تماثل أو اتفاق.

إنَّ الاحتواء على السَّابق يؤصِّلُ المواضيع، ويجعل بينها صلة، تُمكِّن الحاضرين واللاحقين من مراجعتها، والتعرُّف على أسرارها وخفاياها، والأخذ بميزها، والابتعاد عن عيوبها، ويتمُّ استطلاع الدِّراسات السَّابقة عرضًا مختصرًا وفقًا للآتي:

. منهاجياتها.

. القضايا العلميَّة التي أثارتها في الميدان العلمي.

. مقارنتها بما يجريه الباحث من بحث أو بحوث.

. علاقة النتائج المتوصَّل إليها في الدِّراسات السَّابقة بفروض الباحث أو تساؤلاته.

. الجديد الذي أضافته كلّ دراسة.

. ما أثارته من تساؤلات جديدة في ذهن الباحث؛ لأجل أن يتفادى أو يبحث فيما يُفيد.

. علاقة الدِّراسات السَّابقة بالنظريات والقوانين وعلاقتها بصناعة المستقبل.

وإذا أراد الباحث أن يعرف أهمية الدِّراسات السَّابقة فعليه بمحاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1 . هل فصول الدِّراسات السَّابقة كانت متوازنة في دراسة متغيِّرات مشكلة البحث؟ أم أنَّها أولت اهتمامًا ببعض المتغيرات الرَّئيسة، وغفلت عن البعض الآخر، وهل كان لذلك أثرٌ على النتائج التي وصلت إليها الدِّراسات السَّابقة؟

أيَّة إجابة من قِبل الباحث عن هذا السُّؤال المركَّب يفيده في إجراءات بحثه، من أجل أن يكون متوازنًا دون أن يغفل عن أيِّ متغيّر من المتغيّرات الرَّئيسة والمتداخلة في موضوع بحثه، والتي قد تؤثِّر سلبيًّا على نتائج بحثه لو لم يتداركها بالبحث والتقصّي الدقيق.

2 . ما هي القيم التي أكدت الدِّراسات السَّابقة عليها؟ وما هي القيم التي أثارتها دون أنْ تؤكِّد عليها؟

إجابة الباحث عن هذا السؤال تلفت انتباهه لِما يجب أن يقوم به حيال بحثه، فيتداركه قبل أن يتعرّض للمسألة، أي: عندما يضع الباحث أمام ذاكرته هذا التساؤل فلن يغفل عن القيم التي يمكن أن تثار في بحثه، والقيم التي يجب عليه إثارتها ونفض الغبار عنها، وتبيانها وأهميتها في التأثير على متغيّرات البحث، وسلوك الفرد، والجماعات والمجتمعات، ولتكون بين أيدي النَّاس متجسّدة في القول والفعل والعمل والسُّلوك.

3 . إذا كانت هناك توصيات أو مقترحات متضمِّنة في الدِّراسات السَّابقة فما علاقة تلك التوصيات والمقترحات بالمشاكل البحثية التي تناولتها تلك الدِّراسات السَّابقة؟ ثم ما علاقتها بالنتائج التي توصَّل الباحث إليها في بحثه أو دراسته؟

هنا يجب أن ينتبه الباحث وإلَّا سيقع في الفخ الذي وقع فيه البعض بأنْ يوصي ويقترح في حين لا توجد علاقة بين توصياته ومقترحاته وبين موضوع بحثه مما يعرِّضه للانتقاد، وأحيانًا إلى عدم إجازة رسالته من قبل لجنة المناقشين والمحكّمين في أثناء المناقشة الرَّسميَّة.

4 . على ماذا أجمعت وتوافقت الدِّراسات السَّابقة؟ وعلى ماذا اختلفت وتباينت؟ وعن ماذا غفلت؟

هل أجمعت على وحدة المصطلح والمفهوم؟ أم أنَّها اختلفت عليه؟ أم أنَّها غفلت بالتمام عن ضبط مفاهيم دراساتها وتحديد مصطلحاتها؟

كلّ هذه الأسئلة إرشادية تفيد الباحث وتلفت انتباهه إلى منهجيَّات البحث، وأهمية متغيّراته في إظهار المعلومة من المعلومة، والحُجَّة من الحُجَّة؛ ولذا على الباحث ألَّا يغفل عمَّا أجمعت الدِّراسات السَّابقة عليه؛ وذلك ليؤكده بعلميَّة ويثري بحثه به، أو يبطله أو ينفيه بعلميَّة وموضوعيّة، أي: في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع يمكن له أن يكتشف ما يُبطل أو ينفي ما أكدته بعض الدِّراسات السَّابقة في مجال تخصُّصه وقيد بحثه.

5 ـ ما هو المتغيّر البحثي الرّئيس الذي ربط بين الباحث ومشكلة بحثه بالدِّراسات السَّابقة واضطره للعودة إليها؟ أم أنَّه لم يرتبط بها إلَّا عناوين عامَّة تشير إلى عنوان بحثه العام؟

بطبيعة الحال إنْ فهم الباحث وألمَّ بمشكلة بحثه ومتغيِّراتها ألمَّ بأسرارها، وإن لم يلمَّ بها فلن يلمَّ بأسرارها وخفاياها التي تستوجب التقصي والتتبُّع الدقيق والفطنة والانتباه؛ ولهذا ليس عيبًا أن ترتبط عناوين الدِّراسات السَّابقة بعنوان البحث الذي صاغه الباحث وفقًا لمشكلة بحثه، ولكن التعمُّق البحثي يُمكِّنه من معرفة أدقّ العلاقات التي تستوجب مقارنة مع متغيّرات بحثه وكشفها، ومثل هذه المقارنة تزيد بحثه رصانة، وقوَّة، وأهميَّة.

6 . هل كان البحث في ضوء مقارنته بالدِّراسات السَّابقة متميَّزًا عنها؟ وبماذا كان متميّزًا؟

من الصَّعب جدًّا أن أقول: من المؤكد أنَّه كان متميّزًا، ولكن أقول: من المفترض أن يكون متميِّزًا وإلَّا لن يضيف الجديد، ومع ذلك حتى لا يسود التعبير الإنشائي على البرهنة والمحاجَّة العلميَّة نطلب من الباحث أن يخبرنا بما به يتميّز بحثه؛ ولهذا لا ينبغي أن يغفل الباحث أثناء مراجعته ومقارنته وتحليله للدِّراسات السَّابقة عن إظهار ما تميَّز به بحثه أمام المناقشين وأمام القراء بعد أن يجاز من قبل المناقشين، ويعرض أو ينشر في المكتبات.

ولذا فإنْ لم يتفادَ الباحث هذا الأمر سيجد نفسه أمام السّؤال السَّابق (من قبل المناقشين)، وفي ذلك اليوم تكون الفرص قد انتهت؛ ولهذا ننبِّه ونذكِّر لعلها تنفع.

7 . من خلال مراجعة وتفحُّص الباحث لمتغيرات الدِّراسات السَّابقة هل تمكَّنَ من معرفة متغيِّرٍ رئيس يرى أنَّه ضروري، وكان من الواجب تناوله بالدِّراسة ولكن بعض الدِّراسات أهملته ولم تتناوله بالاهتمام الموضوعي؟

فإذا فطن الباحث لذلك فطن بمتغيّرات بحثه الضروريَّة، وفطن بما يمكن أن يواجه به من قِبل المناقشين أو النُّقاد، وبالتالي يكون قد أقفل بابًا من خلال فتحه أبواب البحث العلمي، ودخوله منها إلى أعماق المعرفة العلميَّة.

8 . هل كانت الدِّراسات السَّابقة مهتمَّة بالتوثيق والعودة إلى المصادر؟ أم أنَّها لم تولِ اهتمامًا واضحًا بذلك؟

بدون شك مناقشة الدِّراسات السَّابقة تتطلَّب من الباحث أن يُقلِّبها من هذا الجانب، فإن لم يُقلِّبها فقد يغفل هو الآخر عن أهمية التأصيل العلمي والعودة إلى المصادر سواء أكانت بشرية أم وثائق مكتوبة ومخطوطة ومطبوعة، أم آثارًا تخضع للمشاهدة والملاحظة.

ولذلك فإنْ لم تولِ الدِّراسات السَّابقة أهمية بالتوثيق والتأصيل يوجَّه النقد العلمي إليها، وتوصف بالدِّراسات التي لا تُسهم في إثراء المكتبات، وهذه تُكتب ميزة للباحث الذي كشف أمرها وعرضها بموضوعية.

9 . هل اهتمت الدِّراسات السَّابقة بدراسة المعلومات والبيانات وتحليلها كمًّا وكيفًا؟ أم أنَّها تناولت أحد الجوانب، وأهملت الأخرى؟

بدون شكّ تكون الأهمية العلميَّة عندما تُقلَّب المعلومة من جميع جوانبها وزواياها؛ إذ لكل زاوية قراءة ودلالة فلا ينبغي أن يغفل الباحث عنها؛ ولهذا تكون الفرصة متاحة أمام البحَّاث؛ لينتبهوا إلى أهميَّة ذلك عندما يجرون بحوثهم العلميَّة، فكما نعطي للإنسان قيمة أخلاقية عامَّة نُعطي أهميَّة لمساهماته الكميَّة في الإنتاج، وهكذا نُعطي أهميَّةً لعمره عندما نقارنه بعطاء أعمار الآخرين.

إذن: على الباحث ألَّا يغفل عن تقليب المعلومات والبيانات من أوجهٍ عدَّة في الدِّراسات السَّابقة، وكذلك تقليبها في بحثه بأكثر تقنينًا وموضوعيَّة؛ ليزداد رصانة وعمقًا في توليد المعلومة من المعلومة، والفكرة من الفكرة، ومن ثمَّ يتجنَّب ما غفلت عنه الدِّراسات السَّابقة التي تناولها بالتفحُّص والمراجعة الواعية.

وعليه: إن لم يعرف الباحث ويكتشف ما غفلت عنه الدِّراسات السَّابقة فلن يجد مكانًا لائقًا لبحثه، ولن يكون مسهمًا في إضافة الجديد المفيد؛ ولذا فمن غير المقبول ألَّا يكتشف الباحث ما غفلت عنه الدِّراسات السَّابقة، أي: لابدَّ وأن تكون قد غفلت حيث لا كمال إلا لله تعالى، وهذه فرضيَّة دائمًا مستمرة وهي: (كلّ دراسة لابد وأن تغفل عن شيء هو مفيد لمن يأتي من بعد من أجراها لتفسح مجالات جديدة أمام البحاث).

ولهذا فمن الأهمية أن يتوجَّه الباحث إلى الدِّراسات السَّابقة ليتبيّن مكامن القوَّة والضّعف فيها، وكذلك مكامن الفطنة والغفلة، ومكامن العلَّة والمعلول، والسَّبب والمسبّب أيضًا.

10 . من خلال دراسة ومراجعة الباحث للدِّراسات السَّابقة هل تبيَّنَ له ما أكّدت عليه الدِّراسات السَّابقة إن جاءت مؤكدة على شيء ما؟ وهل هناك تناقض بين الدِّراسات السَّابقة وما يؤكِّده بعضًا منها؟

لا يُقبل من الباحث الذي استطلع الدِّراسات السَّابقة ألَّا يكشف أو يُبرز ما تؤكّد عليه تلك الدِّراسات، ولا يُقبل منه ألَّا يبدي رأيًا علميًّا تجاهه؛ وكذلك لا يُقبل ألَّا يبدي رأيه العلمي تجاه المتناقض منها، ومن هنا فإنْ لم يكتشف الباحث هذا التباين ويظهره حجَّة، فقد ترك فسحة لغيره وقد يكون من بين هذا الغير أحد المناقشين لرسالته، وحينها يجد نفسه أمام موقف محرج، وقد لا يستطع القيام على قدميه ممَّا ألمَّ به من وهنٍ.

11 ـ بعد أنْ يدرس الباحث بعناية الدِّراسات السَّابقة ذات العلاقة بمشكلة بحثه، هل يمكن له أن يخرج بنتائج جديدة؟ أم أنَّه كمن لكَّ علكة، سبق وأن لكَّها غيره؟

أقول:

إنَّ لم يخرج الباحث بنتيجة من مجموع الدِّراسات العلميَّة المجازة سابقًا فقد حكم على نفسه بأنَّه في حاجة لإعادة دراستها، وبالتَّالي ليس له إلَّا الإعادة، وإلَّا سيضع نفسه في خانة الغافلين عمَّا لا يجب الإغفال عنه، وبالتالي أسهم في الحكم على رسالته بأن تكون مع تلك المهملات.

12 ـ إذا كان للبحث إطارًا نظريًّا، وآخر عمليًّا أو معياريًّا أو ميدانيًّا، فهل تمكَّنَ الباحث من معرفة ما يفده من الدِّراسات السَّابقة في إثراء إطاري بحثه؟ أم أنَّه درس ولم يجد ما يفده لأيٍّ منهما؟ أم أنَّه وجد ما يفده في أحدهما؟

إذا تعرَّف الباحث على ما يُجيب به عن هذه التساؤلات، يكون قادرًا على مقارنة الدِّراسات السَّابقة وقادرًا على الاستفادة مما وصلت إليه من نتائج، وما كشفته من قضايا، وتكون الدِّراسات السَّابقة مثرية لبحثه، وبالتالي يجد الباحث نفسه قد حقَّق هدفًا من استهدافها بالدِّراسة.

13 . هل أجريت الدِّراسات السَّابقة على المجتمع أم على عينة منه؟

فإن أجريت على المجتمع (مجتمع المشكلة أو الظَّاهرة) كانت النتائج موضوعيَّة، ولكن إن أجريت على عيّنة منه فهل يحقُّ لنا وصف نتائجها بالموضوعيَّة، أم من الموضوعيَّة أنْ نقول: إنَّها على درجة من الموضوعيَّة؟

في هذه القضيَّة لا اتفاق، فهناك من يراها موضوعية ولا اختلاف، ونحن نراها مختلفة؛ لأنَّ نتائج العيِّنة مع أنَّها تعطي مؤشِّرات لما يجري في المجتمع الذي أخذت منه، فإنَّها لا تمثِّل إلَّا نفسها؛ ولأنَّها لا تمثل إلَّا نفسها فإنَّ درجة تمثيلها هي درجة من الموضوعيَّة.

ولمتساءل أنْ يتساءل:

ماذا تعني بقولك: (هي على درجة من الموضوعيَّة؟

أقول:

إنَّها لم تكن موضوعيَّة، ولكنَّها على درجة من درجاتها؛ وذلك لأنَّ العيِّنة كلَّما كبر حجمها اقتربت من حقيقة المجتمع، أي: اقتربت من الموضوعيَّة.

ولتوضيح ذلك أطرح الأسئلة الآتية:

-هل المريض يمثل المرضى؟ أم أنَّ الطبيب هو من يمثلهم؟

-هل الغني يمثل الفقير في إحساسه بآلام الفقر والعازة؟

هذه الأسئلة تحتاج إلى جدل للإجابة عنها حتى وإن شعرنا بما تتضمَّنه من إجابات؛ لأنَّ أسبابها وظروفها مختلفة حسب كلّ حالة أو موقف.

ومن خلال محاولتنا تفكيك معطيات هذه الأسئلة وتحليل متغيِّراتها الموضوعيَّة يتضح أمامنا مدى أهمية دراسة العينة من عدمها وعيوبها في الدراسة والتشخيص والعلاج، ومدى إمكانية الاعتماد عليها من عدمه.

فإذا حللنا السُّؤال الأوَّل فإنَّنا نجد أنَّ المرض لا يحسّ به إلَّا المريض، مع تقديرنا للفروق الفرديَّة؛ إذ كلّ مريض يختلف عن الآخر في درجة تحمُّله وإحساسه بالآلام وشدَّتها؛ فنجد الذي يتألم في صمت، ونجد الذي يصرخ بصوت عالٍ، وآخرون أقل هدوءا.

وعليه: لا يمكن أن يمثل أحد آخر في مرضه، أو درجة إحساسه بالألم؛ ولذلك لا يمكن لعيِّنة من المرضى أنْ تمثل كل المرضى وإن كان نوع المرض واحد.

ومع أنَّ الطبيب المختصّ قادر على معرفة نوع المرض، واكتشاف أسبابه، وتحديد العلاج المكتشف له والمناسب، وتحديد الزَّمن المناسب

للقضاء عليه، فأنَّه لا يمكن له أنْ يعرف درجة الآلام التي يعاني منها المريض ووطأتها على أوصاله؛ فالطبيب بالرُّغم من أنَّه يعرف المرض لكنَّه لا يحس بآلامه.

ولهذا ليس كلّ من يعرف الألم يستطيع أن يمثّل غيره في إحساسه وآلامه ودرجة تحمُّله، ومن ثمَّ فالطبيب مع أنَّه يعرف أنواع الأمراض، وأنواع الأدوية ومؤثراتها الجانبية، وكيفية التشخيص والعلاج حسب كل حالة فإنَّه لا يعمم العلاج بذات الكيفيَّة؛ وذلك مراعاة لكلِّ خصوصيَّة مرضيَّة. أي: يتنوَّع العلاج حتى وإن كان المرض واحد؛ مراعاة للعمر والحالة الصّحيَّة الصغير والكبير، والشيخ، والمرأة والرّجل، مع خصوصيَّة المرأة الحامل عن غيرها من النساء.

وعلى سبيل المثال: إذا حددنا نوع المرض بأنَّه صداع، وشخَّصنا جميع المرضى، وتركنا واحد منهم، فإنَّ الذي لم يفحصه الطبيب لا يستطيع تعميم الدَّواء عليه، ولا على المجتمع الذي أخذت منه العينة؛ لأنَّ العلاج لم يكن للرّأس مباشرة، ولكنَّه للأسباب المختلفة من الجيوب الأنفية، والأذنين، والأسنان، والعينين، والمعدة، أو لعصب من الأعصاب الملتهبة في الرأس وغيرها من الأسباب ذات العلاقة مما يستوجب اختلاف العلاج لكلِّ حالة من الحالات السَّابقة.

وبناء على ما تقدَّم: إذا كان علم الطب لا يعتمد على التعميم والتعامل مع العيِّنات المرضية، ولا يعد المريض أيٍّ كان هو أحسن ممثل

للمرضى، فكيف لنا القبول بها أحسن ممثلٍ في العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تتعامل مع أحاسيس ومشاعر، وعواطف، وميول، واتجاهات، وغرائز، وحاجات تترجم في سلوك مختلف بين شخص وآخر؟

وبإعادة طرح السُّؤال الثاني: هل الغني يستطيع أن يمثِّل الفقير في إحساسه بآلام الفقر؟

أقول:

بما أنَّ المرض لا يحسّ به إلَّا المريض، وأنَّ الطبيب لا يستطيع أن يمثّله فيه كما لم يستطع غيره من المرضى أن يمثله فيه، فكذلك حال الغني مع الفقير؛ لأنَّ الغني مهما فكَّر أو حسَّ بحالة فقير ما، لم يستطع أن يغوص في معرفة الظُّروف الخاصَّة بالفقير، مع أنَّه سيكون أكثر قدرة على توصيل مشاعره وظروفه الإنسانية إلى الآخرين، ويستطيع أن يجيب عن إمكاناته الذَّاتية وحاجاته، وكيفية معالجتها؛ وعليه: كيف يعتقد البعض في تمثيل المريض للمرضى، وتمثيل الأغنياء للفقراء أو بالعكس؟

وعلى سبيل المثال: عندما يكون المجتمع فقيرًا فعلى البحاث والدَّارسين التوجُّه إلى دراسة ظاهرة الفقر في ذلك المجتمع؛ ليعرفوا أسبابها ومكامن عللها، ويعملون على إيجاد المعالجات الاقتصادية والسياسية التي تفيد في استثمار إمكانات البلد، ومن ثمَّ تسخير طاقاته البشرية إلى الإنتاج، لا أنْ توجَّه الدِّراسات والبحوث في ذات المجتمع الفقير إلى دراسة الأغنياء

منه لتعمِّم من بعد نتائجها على المجتمع، وتأتي لنا لتقول: إنَّ العيّنة كانت ممثلة للمجتمع، ونتائجها تعمّم عليه وكأنَّ المجتمع بأسره غنيٌّ.

14 ـ وعودٌ على بدء: ما مدى أهمية الدِّراسات السَّابقة في توصيف الظَّاهرة، أو المشكلة؟ وكيف فسَّرتها؟ وما هي القضايا التي أثارتها في ميادين البحث العلمي؟

بطبيعة الحال: إذا رَجَعَ الباحثون في دراساتهم السَّابقة إلى النظريَّات ذات العلاقة بتلك الظّواهر والقضايا فمن المفترض أن يكون من أجراها متمكِّنًا من توصيف تلك الظواهر والمشاكل والقضايا، ومن لم يَعُد إلى النظريات ويقوم بمراجعتها بهدف الاستئناس بها والاستئناس إليها يكون قد غفل عمَّا يفيده، وكذلك إنْ رجع إليها ولم يتمكَّن من التوصيف فهو في كلا الحالتين يُعد من الغافلين؛ لذا يستوجب على الباحث أن يوجِّه مآخذه الموضوعية للدِّراسات السَّابقة التي لم تتمكَّن من توصيف الظَّاهرة، أو المشكلة البحثية، ويجب عليه ألَّا يغفل عن أهمية ذلك.

وعليه: تعد الدِّراسات السَّابقة أكثر أهمية إذا أثارت قضايا، أمَّا إذا لم تُثِر قضايا فلن تستفِزَّ البحاث علميًّا، ولا تلفت انتباههم إليها، فعندما تكون ذات أبعاد متعدِّدة قد تمتد إلى مجالات أخرى متعدِّدة فتؤثِّر فيها سلبيًّا أو إيجابيًّا؛ ولذا فإن لم يولِ المجتمع اهتمامًا بما توصَّلت إليه مثل هذه الدِّراسات فقد يجد نفسه في مواجهة مشاكل هو في غنى عنها.

15 . هل الدِّراسات السَّابقة ركَّزت، وأولت اهتمامًا بالتَّحليل الموضوعي للمعلومات؟ أم أنَّها أولت اهتمامًا بتفسيرها (تفسير المعلومات)؟

على الباحث أن ينتبه إلى الكيفيَّة التي بها تصرَّف الدارسون في تلك المعلومات التي جمَّعوها من مصادرها، فهل قاموا بتجميع المعلومات ثم أجروا تحليلًا لها؟ أم أنَّهم جمَّعوا المعلومات ثمَّ قاموا بتفسيرها؟

فإن وجد الباحث أنَّهم جمَّعوا المعلومات، ثمَّ حلَّلوها، ثمَّ من بعد تمكَّنوا بموضوعيَّة من استخلاص النتائج منها فهذا الأمر يبرهن على صواب المنهجيات البحثية التي اتبعوها، وفي مقابل ذلك إنْ توجّهوا إلى تجميع المعلومات ثم قاموا بتفسيرها، فهنا وجب النقد الموضوعي الذي ينبغي أن يُوجَّه إليهم أو إلى بعض منهم، وإن عرف الباحث ذلك جيدًا يكون قد عرف كيف لا يكرر أخطاء وقع فيها من سبقه من الدَّارسين أو الباحثين، ويكون قد ألمَّ بالقاعدة التي تنصّ على أنَّ: (المعلومات تجمَّع من مصادرها؛ لتحلل بهدف تحقيق النتائج التي من بعدها تكون قابلة للتفسير).

وبناء على هذه القاعدة، لا يجب تفسير المعلومات، بل يجب أن تحلل المعلومات حتى يتمكَّن الباحث من الوصول إلى نتائج علميَّة، أي: إنْ لم تخضع المعلومات للتحليل العلمي لا يمكن أن يتوصَّل الباحث إلى نتائج علميَّة، وإنْ لم يتوصَّل الباحث إلى نتائج علميَّة وموضوعيَّة فهو كمن لم يجرِ بحثًا مع أنَّه قد أهدر وقتًّا وضيَّع وجهدًا.

16 . هل الدِّراسات التي رجع الباحث إليها تأسَّست على دراسات سابقة؟ أم أنَّها لم تكن مؤسَّسة على دراسات سابقة؟

بطبيعة الحال إذا كانت العودة للدِّراسات السَّابقة ضرورة لاستمداد الحجَّة والقوَّة منها فتكون العودة حميدة، وإن لم تكن هناك عودة للدِّراسات السَّابقة فهذا يعني أنَّ الدِّراسات التي بين يدي الباحث فقدت عنصرًا مهما من عناصر استمداد القوَّة العلميَّة؛ وهنا وجب الالتفات إلى هذه الأهميَّة والضرورة العلميَّة التي ينبغي ألَّا يغفل البحَّاث عنها أثناء قيامهم بالبحوث العلميَّة التي تؤصِّل الحقائق وتستكشفها وتظهرها أمام الآخرين.

17 . هل الدِّراسات التي تم الرّجوع إليها قد وُظِّفت من قِبَلِ الباحث في تحديد أبعاد مشكلة بحثه؟ وهل لَعِبَ هذا التوظيف دورًا بارزا في إثراء المشكلة البحثيّة التي يوليها الباحث اهتمامًا؟

بطبيعة الحالة البحثيَّة: إذا لم توظَّف الدِّراسات السَّابقة في تحديد أبعاد المشكلة البحثيَّة المترتِّبة عليها تعد فاقدة للأهميَّة، وإن كانت فاقدة للأهميَّة يكون اختيار الباحث لها في غير مكانه، ومن هنا توجَّه الانتقادات إليها.

ولذا لا ينبغي العودة للدِّراسات السَّابقة بغرض جعلها فصلًا لملئ الفراغ، بل يجب أن توظَّف بما يخدم قضايا البحث ومشكلته الرَّئيسة، وبذلك تكون متغيّرات البحث على علاقة بمتغيّرات الدِّراسات السَّابقة؛

ولهذا يجب عند تحليل المعلومات ألَّا تُغيَّب الدِّراسات السَّابقة وكأنَّها لم تكن.

وهنا علينا أن ننتبه إلى جانبين:

أ ـ ما يتعلّق بالدِّراسات السَّابقة: يجب تفحُّصها من قبل الباحث من حيث: هل كانت الدِّراسات السَّابقة قد استفادت من دراسات سابقة عليها في تحديد مشكلاتها البحثيَّة، وهل وظّفت تلك الدِّراسات في تحليل المعلومات من خلال مقارنات موضوعيَّة؟ أم وكأنَّها لم تكن؟

ب ـ ما يتعلّق بالباحث: ألَّا يغفل الباحث عن أهميَّة ما ذكرنا، أي: يجب على الباحث أن يوظِّف الدِّراسات السَّابقة في تحديد مشكلة بحثه، وكذلك في تحليل متغيّراته العلميَّة، ومقارنة نتائجه بنتائجها، وإن لم يفعل ذلك يجد نفسه قد وقع فيما وقع فيه من سبقه من أخطاء.

18 ـ هل تمكَّن الباحث من معرفة المرتكزات الرَّئيسة التي يشترك فيها بحثه مع الدِّراسات السَّابقة التي تناولها بالدِّراسة؟ أي: هل هناك بعض من الأهداف المشتركة؟ أم أنَّه لا اشتراك إلَّا في الأهمية العلميَّة التي يتولَّاها الباحث بالبحث؟ أم أنَّ بعض المتغيّرات المتداخلة أو الدَّخيلة على علاقة واضحة بالمشكلة قيد البحث؟

ولأنَّ أيَّ بحث علمي يُنجز سيكون بين أيدي القرَّاء والنُّقاد وفي المكتبات الجامعيَّة والمراكز البحثيَّة، أو أن يُنشر في الدوريَّات العلميَّة، إذن:

على الباحث أن ينتبه إلى أهميّة ذلك فلا يستعجل على إتمام بحثه فيغفل عن معرفة المرتكزات الرّئيسة للدّراسات السَّابقة ذات العلاقة بمتغيرات بحثه؛ وإنْ غَفِلَ عن ذلك سيكون بحثه معرَّضًا للانتقادات العلميَّة والموضوعيَّة سواء أكان يوم المناقشة، أم بعد ما يجاز البحث ويصبح دراسةً بين أيدي البحَّاث الذين سيأتون من بعده فيوجَّه النقد إليه ويُتَّهم الباحث بالغفلة والتقصير العلمي.

ولذا إنْ كشف الباحث وجود علاقات موضوعيَّة بين المتغيرات البحثيَّة لبحثه وما تثيره الدِّراسات السَّابقة من متغيِّرات فعليه بالمقارنات العلميَّة التي تُمكِّنه من معرفة الأثر، ومعرفة الفارق بين ما وصلت إليه الدِّراسات السَّابقة والنتيجة أو الاستنتاج الذي وصل الباحث إليه، ومعرفة الأسباب التي جعلت من سبقه من البحَّاث يقع في أخطاء التحليل وجعلت منه خير باحث في تفاديها.

19 ـ هل الدِّراسات السَّابقة التي توافرت بين يدي الباحث بحثت في مواضيع ذات مصادر رئيسة، أم أنَّها اكتفت بالرجوع إلى المراجع التي نقلت عنها؟

أقول:

إذا اكتشف الباحث هذا الخطأ، وبيَّنه للقراء، يعد باحثًا منتبهًا وواعيًا بما يجب، وقد أجاد التفحُّص العلمي، والنقد الموضوعي، وقد تجنَّب الوقوع في الخطأ.

ولهذا دائمًا قوَّة البحث تُستمد من قوَّة المصادر التي كلَّما توفَّرت توافرت المعلومة الميسِّرة لمعرفة الحقائق التي يسعى البحاث لمعرفتها، ومن هنا لا يُقبل من الباحث أن يتوجَّه إلى المراجع في الوقت الذي تتوافر فيه المصادر، ومن ثمَّ عندما يكتشف الباحث ذلك فعليه بعرضه بحثًا، والإشارة إليه نقدًا وبكل وضوح.

20 ـ إذا كانت الدِّراسة السَّابقة التي وقعت بين يدي الباحث قد أجريت في قرية الباحث صاحب الدِّراسة السَّابقة ذاتها؛ فهل كان الباحث متحيّزًا في إجراءات دراسته التي أجراها في قريته، أمّ أنَّه كان موضوعيًّا؟

الجميع يعرف أن التحيُّزَ لا يعد صفة من صفات البحَّاث الموضوعيين، سوى التحيُّز للحقِّ فهو الحقُّ، ومع ذلك إن وجد الباحث أن بعض من الذين قاموا بالدِّراسات السَّابقة متحيِّزون بأسباب دينية أو عرقية أو مكانية فعليه بكشف هذا الأمر، وفي المقابل عليه ألَّا يقع فيما وقعوا فيه من تحيُّزات.

وعليه: يُعد التحيُّز أكبر مؤثّرٍ على نتائج البحث العلمي؛ ولهذا لا ترتقي الدِّراسات المنحازة إلى مراتب البحث العلمي ولا توصف به.

ولذا فإنْ لم يكتشف الباحث التحُّيز الذي اصطبغت به دراسة من الدِّراسات السَّابقة، وجاء من بعده باحثٌ آخرٌ وكشفها، يصبح هذا الباحث من المنعوتين بعدم الانتباه الموضوعي، وقد يوصف بالانحياز لصاحب هذه الدِّراسة حتى وإن لم يكن قاصدًا ذلك.

21. هل هناك علاقات موضوعيَّة واضحة بين المناهج والطُّرق المتَّبعة والأساليب والوسائل المستخدمة وتلك الدِّراسات السَّابقة؟ أم لا علاقات بين هذا وذاك؟

الدِّراسة، وأي دراسة، وأي بحث علمي لا يمكن أن يكون مترابطًا ومنتظمًا ما لم يكن هناك منهجٌ يَنْظِمَهُ، ولا يمكن أن يُحقِّقَ البحث أهدافه ما لم تكن له طريقة ذات خطوات واضحة ومحددة، ولا يمكن أن تُصاغ الجُمل وتُعرض القضايا وتحدَّد المفاهيم ما لم يكن هناك أسلوبٌ مناسبٌ لعرضها، ولا يمكن أن تُجمَّع المعلومات بموضوعية ما لم تكن الوسيلة مناسبة لجمعها.

لذا على الباحث أن ينتبه إلى أهمية ذلك، ويتوجَّه إليه بالدِّراسة والتفحُّص حتى يتبيَّن مدى ملامسة المنهج والطّريقة والأسلوب المتَّبع والوسيلة المستخدمة للموضوع، ومدى درجة استخدامها في تحليل المتغيّرات العلميَّة، وإن لم يفعل ذلك لن يتمكَّن من إظهار الحقائق وكشفها علميًّا وموضوعيًّا.

وعليه: فإن اكتشف الباحث وجود علاقات موضوعيَّة واضحة كان من الواجب عليه إظهارها، وإن لم يجد علاقات بينها فعليه بكشف الحقيقة التي تُظهر الضّعف فيما تمت إجازته من قبل لجنة المناقشين أو المحكِّمين العلميين، أو المقيمين والناشرين الذين غفلوا عن إظهار ما تمكَّن الباحث من معرفته وكشفه؛ ليكون درسًا مهمًا بين أيدي الدَّارسين والمتعلّمين حتى يتفادوه في مستقبلهم بحثًا ونشرًا.

22. ولإعطاء الدِّراسات السَّابقة بُعدًا علميًّا ومنهجيًّا يجب أن يقارن الباحث بين تلك الأهداف التي صِيغتْ في الدِّراسات السَّابقة والأهداف التي صاغها لتقصي مشكلة بحثه؟

أي: هل كانت العلاقات واضحة بين الأهداف والنتائج المتوصل إليها في الدِّراسات السَّابقة، أم هناك اللبس والغموض؟

ولأنَّ الأهداف يأمل الباحث الوصول إليها وإنجازها بما يتوصَّل إليه من نتائج تحتوي معالجات أو حلول لمشكلة البحث؛ لذا فهي تُعد من العناصر الرَّئيسة التي تستوجب المقارنة بينها وما توصلت إليه من نتائج، وكذلك بينها والأهداف المصاحبة لها في الدِّراسات الأخرى التي أخضعها الباحث إلى الدِّراسة، وكذلك مقارنتها مع الأهداف التي حدَّدها الباحث وصاغها لمشكلة بحثه؛ وذلك لمعرفة المرامي التي استهدفتها الدِّراسات السَّابقة، والمرامي التي هي الآن مستهدفة من قبل الباحث، وكلَّما قام الباحث بهذه المقارنات واستنتج ما استنتجه من متشابهات، أو مختلفات،

أو متنوّعات يكون قد أعطى بعدًا موضوعيًّا واسعًا لأهداف بحثه، ثمَّ أعطى أهميَّة لِما يقوم به من جهد موضوعي في ميادين البحث العلمي.

ومع أنّ الأهداف ينبغي أن تكون قابلة للإنجاز، فإنَّها لن تنجز برغبة إلَّا إذا كان من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء. وفي هذا الشأن البحَّاث كغيرهم من النَّاس لا بدَّ وأن يكونوا مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[48].

ومع ذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يظهر الحقيقة، ويكشفها للقراء ارتقاءً ورفعة.

23 ـ هل النتائج المتوصّل إليها في الدِّراسات السَّابقة تُثبت صحة الفروض، أو التساؤلات التي حُددت وصِيغة من أجلها؟ أم أنَّها قد أبطلت بعضها بفروض بديلة؟

الفروض في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قابلة للإثبات وقابلة للرّفض؛ ولهذا ليس دائمًا النتائج تأتي متطابقة أو متوافقة مع الفروض التي يصوغها البحاث، مما يستوجب استبدالها في حالة ما إذا أبطلتها النتائج العلميَّة التي تمَّ المتوصل إليها؛ ولذا عندما يتمّ بطلان أحد الفروض بالبحث

48 هود 118، 119.

والدِّراسة من خلال النتائج المتوصّل إليها لا تُلغى الدِّراسة أو البحث، بل يجب تغيير الفرض الذي أثبت بطلانه بفرضٍ بديل.

ولهذا؛ إذا عرف الباحث أن نتائج الدِّراسات السَّابقة لم تُثبت صحّة بعضٍ من الفروض، وأنَّ أحد البحَّاث لم يقم بإبطالها واستبدالها في بحثه بفروض بديلة، يصبح من الواجب عليه أن يوجِّه انتقاداته إلى مثل هذه الدِّراسات وينبِّه عليها، ومن ثمَّ ينتبه هو الآخر من علاقة فروضه بنتائج بحثه حتى لا يقع في الخطأ الذي اكتشفه أو تعرَّفَ عليه عند بعض الدِّراسات السَّابقة التي تناولها بالدِّراسة الموضوعية في إطار بحثه النَّظري.

وعليه:

تصاغ الفروض العلميَّة موضوعيًّا في حالة توفر جزءٍ من المعلومة، وفقدان جزءٍ آخر منها؛ ولذا فالفرض هو تخمين مبدئي يتضمَّن متغيَّرين أو أكثر، ويشير إلى نتيجة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

وفي صياغة الباحث لفروض بحثه نحن نتفق مع الفيلسوف ديكارت الذي يرى وجوب الآتي:

أ ـ يجب أن يكون في كلِّ فرض شيء مجهول، وإلا لكان البحث عبثًا ليس إلَّا، فلو كان كلّ ما في الفرض معلومًا لما كان هناك داعٍ لإجراء البحث.

ب ـ يجب أن يتحدد هذا المجهول على نحوٍ ما، وإلَّا لن نستطيع التوجّه إليه دون غيره بالبحث والتفحص؛ مما يستوجب صياغة الفروض أو التساؤلات صياغات احتمالية غير قطعية وفقًا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

ج ـ هذا المجهول لا يمكن أن يتعين إلا بواسطة شيء معلوم حتى لا تكون الفروض فاقدة للسَّند الموضوعي لها على أرض الواقع[49].

وإلى جانب ما تمَّ ذكره، يجب ألَّا يغفل الباحث في صياغة فروض بحثه عن الآتي:

ـ ينبغي ألَّا تصاغ الفروض على إثبات المثبت، كأن يحدّد الباحث فروضه على الرّق في الإسلام، فهذا الأمر نتائجه معروفة مسبقًا ولن يصل الباحث فيه إلى الجديد ما لم يربط ذلك بمتغيرات أخرى تابعة ولتكن ذات علاقة بدين غير الإسلام؛ لأنَّ الفروض أساسًا تصاغ لإثبات ما لم يسبق إثباته من قبل.

ولهذا فالفرض لا يصاغ للمثبت، بل يصاغ لِما يود إثباته، وإذا تمَّ الإثبات، وتحقق التجريب والمنفعة، رُسِّخت القوانين، وبُنيت النَّظريات، وصِيغت المناهج التي بها تُفكك المعلومة وتُركَّبُ.

49 عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات ألجا، الطبعة الثانية، 1995، ص 29.

. ينبغي أن تصاغ جميع الفروض على قاعدة: (أنَّ لكلِّ مشكلة حلّ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع)، وإذا لم ينطلق الباحث من هذه القاعدة فلا يمكنه صياغة فروض خاصّة بالموضوع، ولن يتحفّز لتحقيق أهداف وبلوغ نتائج، أو التمكُّن من اكتشاف القوانين والنَّظريات التي تمدُّ بالجديد المفيد والنافع.

ومن هنا فالفرض دائمًا في حاجة لِمن يعمل على إثباته، أو نفيه، أو بطلانه؛ ولهذا فهو دائمًا في دائرة الممكن.

ولهذا فالفرض يعدُّ تخمينًا مبدئيًّا يستدل به الباحث على إيجاد علاقة بين متغيرين أو أكثر، ولا يعد الفرض حُكمًا على الإطلاق إلا بعد إثباته؛ ولذلك الأشياء المثبتة لا داعي لصياغتها في شكل فروض؛ لأنَّ الأشياء المثبتة تعبِّر عن حقائق مثبتة، والحقيقة الظَّاهرة لا شكَّ فيها، وبالتالي إخضاع المثبت للفرض يعني الشكّ فيه مع أنَّه حقيقة ماثلة أمام المشاهدة والملاحظة، فإذا افترض أحد البحاث أن هذا الشكل (.) هو نقطة، هذا يعني أنَّه يشكّ أن تكون نقطة نتيجة وضعه لها في فرض احتمالي؛ ولكن لأنَّ النُّقطة لم تكن موضوع شكّ؛ لأنّها مسلّمة مثبتة بمثولها أمام أنظارنا، وسبق أن استعملت ومازالت تستعمل في تمييز الحروف من قبل القراء والكتاب فإنَّ إخضاعها للفرض لن يهزّ الثِّقة فيها؛ لأنَّها مثبتة؛ ولذلك لا ينبغي أن نُخضع المثبت للاحتمال الفرضي، بل الفروض ينبغي أن تكون احتمالية الحدوث في دائرة الممكن، ولا تكون قطعيَّة الإثبات (لا شكّ

فيها) فإذا افترض أحد أن الله هو الذي لم يخضع للمشاهدة، فهل يستطيع هذا الباحث إثبات عكس ذلك؟

إنَّه لن يستطيع، فالله حقيقة لن يخضع للمشاهدة؛ لأنَّه المدرك بالوجود إدراكًا تامًّا فهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يرانا ولا نراه، وهو بما نعمل بصير، مصداقًا لقوله تعالى: {وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[50]؛ ولذا وفقًا للقاعدة الموضوعية: (الخالق يرى ما خلق، والمخلوق لا يرى خالقه) قال تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[51].

بناء على ما تقدم: لا ينبغي أن تكون الفروض (قطعيَّة)، بل ينبغي أن تكون (احتمالية في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع)؛ وذلك لأنَّ القطعي مثبت أمَّا الشَّكّي فمحتمل.

ومن ثمَّ فالفروض تتضمن في محتواها قرارًا مبدئيًّا لحلِّ مشكلة، أو محاولة لحلها، أو إيجاد معالجات لمعضلة من المعضلات التي تعيق العلاقات الاجتماعية، أو تعيق عملية الإنتاج، أو الإدارة، أو المهنة والحرفة، أو تحول بين المرء وتكيُّفه، أو توافقه الاجتماعي والنفسي، أو لتحسين وتجويد تقنية من التقنيات وغيرها كثير؛ ولهذا تعدُّ الفروض مهمّة للبحث كأهميّة العمود

50 آل عمران، 156.

51 البقرة، 232.

الفقري لجسم الإنسان من خلال انتظام البحث في فروضه الذي يشابه انتظام الجسم والتفافه على عموده الفقري.

ولهذا فالفروض العلميَّة تحمل أبعاد الموضوع فيها، وتعد تفسيرًا مبدئيًّا له (للموضوع أو للظاهرة قيد البحث)، أي: إنَّها تحمل مضامين التفسير فيها من خلال تحليل علاقاتها ومستهدفاتها لكي يتم التأكد من إيجابية الإثبات، أو سلبيته، أو بطلان الفرض بالنتائج المتوصّل إليها؛ ومن ثمَّ يكون دور الباحث اكتشاف هذه الأبعاد وتبيانها للآخرين لأجل معرفة أهميتها، وأهمية الفروض في تجميع المعلومات، وتحليلها، وتشخيص الحالات، وبلوغ النتائج وتفسيرها؛ وذلك بالوقوف عن وعي على حقائق كانت مجرد افتراضات.

ولذا فالفرض العلمي هو الذي تكون من ورائه حكمة حتى تكون له دلالة ومعنى، ويكون له بعدًا علميًّا ومنهجيًّا، ويحقق نتائج تهم الذين أجرى البحث من أجلهم.

ولأنَّ الفروض احتمالية قد تصدق تخميناتها، وقد لا تصدق، وبالتالي لا يعد العمل بها إلَّا في ضوء ما تحقِّقه من نتائج؛ ولهذا لا يعد العمل بها إلَّا مشروعًا مبدئيًّا يقرّره الباحث، ويصوغه بوضوح لكي يتمكَّن من تتبُّع خطوات منهجيّة منظَّمة تُمكِّنه من إثباته.

ومع أنَّ للفروض أهمية كبرى تجعل الباحث ينتهج طريقًا بحثيًّا وعن وعي وانتباه، وتنظيم رفيع في أفكاره وتسلسلها العلمي والمنطقي، إلَّا أنَّه ليس بالضرورة أن يكون لكل بحث من البحوث العلميَّة فروضًا. فإذا طُلِبَ منا القيام ببحث للتعرُّف على المراحل التي تمرّ بها أسعار السُّوق للمنتجات المحليَّة، فإنَّ ذلك لا يتطلّب بالضّرورة وضع فروض والتأكد منها، وهكذا في مجال البحوث الاستطلاعيَّة، والبحوث المسحيَّة الميسرة.

تصاغ الفروض وتحدّد بهدف التأكد من العلل والأسباب التي تكون وراء الظاهرة (قيد البحث) للوصول إلى معرفة الحقائق والعمل على تفسير نتائجها، واستنباط الحلول المناسبة لها.

وبما أنَّ الفروض تتضمَّن في محتواها متغيِّرات، فإنَّ المتغيّر الواحد قد يأخذ قيمًا مختلفة، ويمكن ملاحظة التغيّرات التي تطرأ على قيمه أو السّلوك المستهدف منه، وقد يأخذ المتغيّر الواحد قيمتين فقط كالنوّع (ذكر أو أنثى).

ولأنَّ المتغيرات ألفاظ ورموز ذات دلالة بما تتضمنه من معاني ومعارف فتكون الفروض هي العلاقة بين المتغيرات المستقلّة والتَّابعة والدَّخيلة والمتداخلة في مشكلة البحث أو إشكاليَّته.

فإذا افتراضنا أنَّه: (كلّما ارتفع المستوى الثقافي، تحسَّن المستوى الصّحي). فيوصف هذا الفرض بأنَّه اشتراطي، أي: إذا ثبت صحّة هذا

الشرط كان الفرض صادقًا، وإذا لم يثبت البحث تحسُّن المستوى الصّحي بسبب ارتفاع المستوى الثَّقافي، فيكون الفرض خاطئًا؛ مما يدعو إلى إعادة صياغته من جديد، وحسب ما توصل إليه الباحث من نتائج، وكذلك إذا افترضنا أنَّه: (كلَّما ارتفع مستوى الدّخل ارتفع مستوى التعلم)، فإن هذا الفرض هو الآخر اشتراطي، أي: إنَّه اشترط ارتفاع المستوى التعليمي بارتفاع مستوى الدّخل، ولكن يجوز أن يثبت البحث بطلان هذا الفرض؛ مما يجعلنا نقول: ليس كلّ تخمين صادق، (ليس كل فرض صادق)؛ لأنَّه لو كان كل فرض صادقًا لما كان لنظرية الاحتمالات وجود، وما كان بين أفراد المجتمع كاذبون أو صادقون، أو أنَّهم على غير بيِّنة.

وتتضح الفروض عند الباحث باكتمال الإطار النَّظري الذي يستمد من النظريات العلميَّة وفقا لمجالات التخصص؛ ولهذا يُعد الإطار النظري هو الخلفية العلميَّة التي تسند الإطار العملي أو المعياري بالحقائق والحُجج من مصادرها الفكرية والمعرفية التي تدلّ على وضوح الموضوع في ذهن الباحث أو الباحثين؛ ولهذا يستوجب على الباحث أن ينطلق من خلفيّة علميَّة واضحة، لكي يصوغ فروضه بدقَّةٍ ووضوح متميّزين وهو يؤسّس قاعدة علميَّة متينة يستند عليها في تناول القضايا العلميَّة وفقًا لأهداف بحثه، وفروضه، أو تساؤلاته الموضوعيَّة.

فإذا قسّم الباحث بحثه إلى جزأين:

1 . جزء نظري أو مكتبي أو فكري تنظيري تكون فيه الوثائق والمصادر هي الأساس في جمع المعلومات، ومن ثمَّ تحليها واستخلاص النتائج منها مع قبولها للتفسير.

2 . جزء ميداني أو معياري كما هو حال البحوث التي تخوض في مجالات دراسة القيم التي تُستخدم فيها المقاييس العلميَّة التي تسندها الوسائل الإحصائية، وأساليب عرضها للمعلومات المحللة، والنتائج المتوصَّل إليها.

ولذا فالبحث المتفرع إلى جزأين: نظري، وميداني أو عملي أو معياري ينبغي أن تكون صياغة فروضه مجسّدة للعلاقة بين الإطار النَّظري والعملي أو المعياري أو الميداني؛ فعلى سبيل المثال: (كلّما قلَّ دخل الرّجل قلّت فرص العمل أمام المرأة). هذا الفرض قابل للإثبات وقابل للبطلان؛ وذلك باستكمال البحث في الإطارين: (النظري والعملي) فإن وصل الباحث إلى النتيجة الآتية: (إنَّ فرص العمل تزيد أمام المرأة عندما يقلّ دخل الرّجل). إذن: نتيجة البحث قد أبطلت الفرض؛ ولهذا ينبغي على الباحث أن يصوغ الفرض البديل الذي أثبت بالبحث، وهذا لا يعني أنَّ البحث لا قيمة له، بل إنَّه على الأهميَّة التي بها تم استبدال الفرض الرَّئيس الذي أبطلته نتائج البحث المتوصل إليها بالفرض البديل.

فتكون صياغة الفرض البديل الذي حلَّ محل الفرض الرَّئيس على النحو الآتي: (كلَّما قلَّ دخل الرّجل قلّت فرص العمل أمام المرأة).

وعليه:

يصبح الفرض البديل بعد إثبات بطلان الفرض الأوَّل الفرض الرَّئيسي (الأساسي) في البحث، وظهور مثل هذا الفرض لم يكن غريبًا بل إنَّه مألوف في العلوم بشكل عام الطبيعية والاجتماعية، والإنسانية؛ ولذلك يُعد البحث الميداني في مثل هذه الحالة تصحيح لفرض نظري، ونحن سبق وأن قلنا: إنَّ الفرض هو تخمين مبدئي، ولن يكون نهائيًّا إلا بعد تجميع البيانات وتحليلها والوصول إلى نتائج واضحة ومحددة.

ولذا فإن أساليب البحث من حيث الهدف تنقسم كما يقول الدكتور سمير نعيم إلى قسمين:

القسم الأوَّل:

"يهدف إلى التحقّق من صدق أو خطأ فرض معيّن، ويتّضح هذا النّوع في الأسلوب التجريبي.

القسم الثَّاني:

ويهدف إلى التوصّل لفرض يمكن التحقّق منه في دراسة تالية، أو لوصف حقائق قائمة"[52].

52 سمير نعيم، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، القاهرة، المكتب العربي للأوفست، الطبعة الخامسة، 1992، ص 132.

ويتَّضح هذا النَّوع في الأسلوب الاستطلاعي والوصفي، إلَّا أنَّ اتِّباع المنهج التاريخي يُمكِّن الباحث من الاستفادة من هذين الأسلوبين الواردين في القسم الأوَّل والثاني.

إذن: يعد الفرض العلمي مقدمة من مقدّمات القياس، ونقطة البدء في كلّ برهنة وتحليل، وهو المنبع الأوَّل لكلِّ معرفة، أي: الفرض هو الذي يستخدمه الباحث في تقصي الحقائق[53]؛ ولهذا فالفرض مرشد الباحث إلى أهدافه، وهو الذي يحمل البحث في أحشائه، فمن الفروض تولد البحوث، وتستمدّ القوَّة والرَّصانة، ومن البحوث تستنبط الفروض والتساؤلات، وهكذا كلّ بحث جديد يصبح قديمًا باكتماله وخروجه إلى حيّز الوجود، مما يجعل بحوثًا أخرى قد تترتَّب عليه من أجل استكمال جوانب أخرى تتعلَّق به، أو من أجل دحضه بالحقائق الجديدة، أو نتيجة إثارته لقضايا مهمَّة قد تستفز باحثين آخرين في مجاله، أو في مجالات أخرى.

إذن: الفرض هو الخيط المنظّم للبحث، وينتسب الفرض للبحث كما ينتسب الخيط للمسبحة، أي: لا تنتظم حبَّات المسبحة مع بعضها البعض ولا تظهر في شكل منظم ما لم تنتظم في خيطها اللائق بها، والذي بدونه تصبح حبَّات المسبحة متناثرة لا علاقة بينها؛ فهكذا البحث لا يمكن أن

53 عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975، ص 160.

تكون له وحدة بنائية تُظهِره في شكله اللائق به وتميزه عن غيره من البحوث الأخرى ما لم تكن له فروض خاصَّة به.

ومن هنا فالفروض تُظهر وحدة البحث، والتي بدونها يكون الباحث مشتت الأفكار والمعلومات، لأنَّ الفرض هو الذي يتمحور البحث عليه من البداية إلى النّهاية بإطاريه النظري والميداني أو المعياري. ويعدّ الفرض بالنسبة إلى الباحث كالضوء بالنسبة إلى سائق السيَّارة ليلًا، فالفرض هو الذي ينير طريق الباحث اتجاه أهدافه كما ينير الضوء طريق السَّائق تجاه غاياته وهو يشق الظُّلمة؛ ولذا يعد الفرض تفسيرًا مبدئيًّا للظَّاهرة أو المشكلة أو الإشكالية (موضوع البحث) من خلال الأفكار التي استوعبها الباحث عن الموضوع، والرؤية التي يعتقد أنَّها تبرهن على علله وتحقّق أهدافًا محدَّدة الوضوح.

24. هل الوضوح كان حليفًا لصياغة المصطلحات والمفاهيم العلميَّة في الدِّراسات السَّابقة؟ أم أنَّ بعضًا من المصطلحات والمفاهيم ما زال محفوفًا باللَّبس والغموض؟

من خلال مراجعة واستقراء وتتبُّع وتفحُّص الباحث للدِّراسات السَّابقة لا بدَّ وأن تتَّضح أمامه المصطلحات والمفاهيم التي استخدمها البحَّاث في تلك الدِّراسات، فإن تبيَّن له أنَّ غموضًا قد أحاط ببعض منها فعليه بالإشارة إليه.

ومع ذلك قد يتساءل البعض:

لماذا الدِّراسات السَّابقة؟

أقول:

لكي يجد الباحث مكانًا لائقًا ومناسبًا لبحثه، ولكيلا يجد نفسه يكرر ما سبق أن بُحِثَ من قِبل الذين سبقوه في مجالات وميادين تخصصه أو اهتماماته.

وقد يتساءل البعض أيضًا:

لماذا سميت البحوث السَّابقة بالدِّراسات السَّابقة ولم تسمّ بحوثًا كما هي عليه؟

أقول:

تلك الدِّراسات هي في حقيقتها بحوث سابقة؛ ولذا فهي لا توصف بغير ذلك لمن أجراها وقام بها بحثًا وافيًا، وكذلك لمن قام بالإشراف عليها أو شارك في مناقشتها.

أمَّا كونها دراسة فالأمر يعود لما يبذل من جهد من قِبل الباحث الذي يقوم باستطلاع جهد أحد الباحثين الذين سبقوه بالبحث في مجال تخصّصه، أي: إنَّ الدِّراسة تعني استطلاع البحوث المجازة اعتمادًا، والمنشورة رسميًّا.

ومن ثمَّ فالوصف بالدِّراسة نسبة إلى الجهد الذي يبذله الباحث الذي يقوم باستطلاعها؛ كونها إنتاجًا جاهزًا من قبل السَّابقين، أي: إنَّ البحث في أثناء إجرائه لا يوصف إلَّا بحثًا، ولكن بعد إنجازه وإجازته اعتمادًا ونشرًا يصبح بين من يقوم باستطلاعه دراسة، بمعنى يوصف جهد الباحث المستطلع بالجهد الدِّراسي.

وباستطلاع الدِّراسات السَّابقة نلاحظ أنَّ العلوم بمختلف ميادينها ومجالاتها وروافدها تصبّ في محيط المعرفة الذي يثرى بكل بحث علمي جديد، وتثرى البحوث هي الأخرى بما ترتوي به من ينابيع المعرفة، وهكذا تتأثّر البحوث الجديدة بالدِّراسات والبحوث التي سبقتها وهي كذلك تؤثّر فيها؛ لأنَّ المعرفة واحدة، وإن تعددت ميادينها ومجالاتها أو اختلفت، ولكي يجد الباحث مكانًا لبحثه بين البحوث التي سبقته ليس له بدٌّ إلَّا أن يطَّلِعَ عليها قبل كتابة بحثه حتى لا يضيع جهده هباءً مع هبَّات الرِّياح، فإذا كان بحثه تكرارًا لبحوث سابقة لا يلتفت القراء إليه، ولا يحترم صاحبه، ولا يُقدَّر من قبل الآخرين؛ ولهذا لن يكون لبحثه مكانًا بين البحوث والدِّراسات التي سبقته في ميدان تخصُّصه، أو في ميادين أخرى ذات علاقة، أمَّا إذا تمَّ الاستطلاع بوعي، فإنَّ مشكلة البحث ستكون على أهميَّة بمبرّراتها الموضوعيَّة، ويكون للبحث مكانًا متهيئًا بين البحوث التي سبقته.

وتعدُّ مرحلة استطلاع الدِّراسات السَّابقة مهمَّة مرَّتين:

الأولى: قبل أنْ يحدّد الباحث موضوع بحثه، أي: في أثناء الحيرة التي تصاحبه في أثناء تفكيره وسعيه لأنْ يبحث في إشكاليّة على درجة من الأهمية العلميَّة، حينها يكون الباحث في حاجة لأنْ يقرأ في ميادين المعرفة الواسعة ومجال التخصُّص؛ لأجل إيجاد متاحٍ ميسِّرٍ يُخرجه من حيرته التي في بعض الأحيان تضيق نفسه منها، فعندما يكون الاستطلاع واعيًا بالقراءة النقدية وواعيًا بالمفارقات المنهجيّة التي انتهجها من سبقه في مجالات البحث العلمي يُمهد الطريق للباحث حتى يتعرَّف على مكامن الضّعف والخلل والخطأ، أو الغفلة التي وقع فيها من سبقه من البحَّاث؛ وكذلك من خلال شكّه العلمي وانتباهه لما يجري من حوله يستطيع أن يحدد موضوع بحثه بوضوح.

ومع أنَّ الحيرة العلميَّة تضيق بعض الأنفس بها، فإنَّه لا بلوغ لمعرفة علميَّة واعية إلَّا من بعد حيرة؛ ولذلك فبقاء الباحث في زمن الحيرة دون هروب منها يُخرجه من كل غموض ولبس إلى مكامن العلل والأسباب التي تكمن فيها إشكالية البحث أو مشكلته، وحينها يسعد ومن بعدها لن يكون غيره أكثر إلمامًا منه فيما بحث وكتب.

وماذا تعني الحيرة البحثيّة؟

تعني: أنَّ الباحث يحتاج إلى مشرفٍ يرشده إلى قراءات ومناقشات تفتح أمامه آفاق المعرفة العلميَّة التي تمدَّه بالمزيد العلمي والمعرفي؛ ولذا فالحيرة العلميَّة لا تواجه إلَّا الجادين؛ ولهذا ينبغي أن نعرف أنَّ الحيرة هي درجة

متقدِّمة من التفكير العلمي المركَّز الذي ينبغي على الباحث تقبُّله وعدم الحياد عنه إلى أن يصل بتفكيره المنظّم إلى الانتباه الذي يقوده إلى الاختيار واتخاذ القرار عن وعيً وإرادة ويقين إذ لا خروج من الحيرة العلميَّة إلا بتحديد موضوع البحث الذي تمحور على إشكالية لا مفرَّ من البحث فيها إنْ أردنا حلًّا.

فإذن: الحيرة هي نتيجة الشكّ، وعدم وضوح التخمينات تجاه الموضوع المستهدف بالبحث، وهي مرحلة مهمَّة في التفكير الإنساني عند انتقاله من الشكِّ إلى اليقين، ويقال للإنسان الذي يضل طريقه أنَّه حيران؛ نتيجة عدم تحديده الاتجاه الصَّائب الذي يود السير فيه.

وعليه:

فإنَّ أوَّل مشكلة تواجه الباحث: كيف يتخلَّص من الحيرة التي تعيق تفكيره تجاه تحديد موضوع بحثه؟ وكيف ينتقل من الشَّكِّ إلى اليقين بأنَّ مشكلته البحثيَّة تكمن في القلق الذي يحيط به والغموض الذي يتطلَّب منه صبرًا مكتبيًّا لاستطلاع ما كُتب عن الموضوع قدر الإمكان في مجال تخصُّصه، والاطلاع على المعارف المتوفِّرة؛ لتساعده على صياغة وتحديد مشكلة بحثه، والتي تنقله من الضلالة إلى الهداية مصداقًا لقوله تعالى: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[54]؛

54 الجمعة، 2.

ولهذا الحيرة مقبولة؛ لأنَّ من بعدها هداية، وتعلُّم حكمة، ولن تتضح مشكلة البحث ما لم يلمَّ الباحث بفلسفة الموضوع الذي يود دراسته، وتتَّضح فلسفة البحث بإجابة الباحث عن السّؤال لماذا هذا الموضوع بالذَّات؟ ولماذا لم يختر غيره؟

الثانية: بعد أنْ يحدّد الباحث موضوع بحثه يجب عليه الانتباه لما ينبِّه إلى نقاط الضّعف التي وقع فيها من سبقه من بحاث في مضمار تخصُّصه حتى يعرف عن بيِّنة كيفيّة تفاديها لو واجهته في أثناء تجميعه لمعلومات بحثه، أو في أثناء تحليلها، أو في أثناء تشخيص الحالة وتفسير النتائج، ومن خلال مراجعة البحوث والدِّراسات السَّابقة بوعي وانتباه قد يكتشف الباحث أنَّ الذي سبقه لأحد المواضيع لم تكن نتائج بحثه صادقة لفقدانها العلاقة بين أهدافها أو فرضياتها ونتائجها، أو أنَّ الخطوات التي اتبعها الباحث لا تؤدّي إلى النتائج المتوصّل إليها نتيجة لتحيز الباحث، أو لخطأ قد وقع فيه وهو لا يدري، أو أنَّ النتائج المتوصّل إليها والموصي بها قد تم بطلانها بنتائج بحث آخر جديد، أو أنَّه يكتشف أنَّ النتائج مخطئة؛ لتناقضها مع القوانين الطبيعيّة والاجتماعيّة أو الفروض التي صيغت لها من قِبل الباحث.

ونظرًا للتطوّر والتغيّر المستمر فإنَّه من الممكن أن يتمّ التعرُّف، أو أن يُكتشف أنَّ بعضًا من البحوث السَّابقة متضمِّنة لخطأ، أو أنَّها قد وقعت في فخِّهِ؛ فالتقدّم العلمي والتقنيات الحديثة ساعدت وتساعد على إعادة

بعض الدِّراسات السَّابقة من أجل تصويبها وتطويرها، ونظرًا لأنَّ العلوم تربطها علاقات مع بعضها البعض وبمختلف تخصصاتها ومجالاتها وميادينها؛ لذلك يكون للاطلاع العام أهميَّة تفيد الباحث في استكمال جوانب بحثه، وتهيئ لبحثه مكانًا مرموقًا بين البحوث.

وبناء على ما تقدَّم: على الباحث أن يميِّز بين ما تدلّ عليه المفاهيم العلميَّة، وما تدلّ عليه تلك الفروض والقوانين التي تحتويها النَّظريات، وعليه أن يعرف أنَّ المفاهيم لا تضيف الجديد، ولكنَّها تُسهم في تحليله جيدًا، أمَّا النَّظريات فهي التي تُحفِّزُ على التحليل وتُمكِّن من التفسير العلمي للظواهر.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (174) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيمية لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 ـ خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 ـ منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 ـ خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 ـ خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 ـ البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 ـ البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 ـ أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37 ـ موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38 ـ عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64. من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65. من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71. الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72. تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 ـ العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 ـ فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 ـ بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 ـ من معجزات الكون (خَلق ـ نشوء ـ ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 ـ مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 ـ آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 ـ إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 –كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م

169 – موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (174) مؤلّفا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/